مجلة شهرية

Issue No: 67 :عدد
March 2013 آذار

نـــــور يسوع المسيح المسيح
ΦΩΣ الف ـالب XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ميلاد العذراء والدة الإله الذي لا يجلس فيه .

إن الملاك المتقدم
أرسل من السماء
ليقول لوالدة الإله إفرحي.

محتويات العدد

2 مصيدة العالم ـ ما هو هدفك

3 كلمة غبطة البطريرك
كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 في مديح الشهداء الأربعين
باسليوس الكبير

8 الجحيم والنعيم
جوارجيوس ميتالينوس

10 الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور

11 عودة الأبن الضالّ

12 النبيّ الهارب
القديس كيرلس الإسكندري

14 من أجل زهرة

15 حِكَم وإرشاد
للصوم الكبير المبارك

16 كيف تشهد للربّ
القديس يوحنا الذهبيّ الفم

17 هل هذه القصة حقيقيّة

18 العظات ١٨ لطالبي العماد
القديس كيرلّس الأورشليمي

19 سلطان الملائكة

20 خطبة الصوم الكبير
للقس رويبل الدنيسري

22 شعراء النصرانيّة

23 العهد القديم (٥١)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي
(الهي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

مصيدة العالم

ذهَبَ أحد الآباء الكهنة لألقاء عظة في إحدى البلاد ، وجهّزوا له حجرة لينام فيها تلك الليلة. وكان في الحجرة مصيّدة فئران بها قطعة من الطماطم ، فأُغلقت عليه المصيدة.

وكان ذلك اليوم في تمام الساعة الثانية صباحاً وظَلَّ الفأر من تلك اللحظة حتى السابعة صباحاً يلفّ داخل المصيدة يبحث عن فتحة في المصيدة ليخرج منها. دون أن يكلّ أو يملّ.

ولقد نسي الفأر الطماطم وانشغل كيف ينجو من الهلاك. أو بمعنى أصحّ فقَدَ شهيّته عن أكلها ولم يعد يشتهي شيئاً سوى النجاة بحياته.

فقد شهيّته عن قطعة الطماطم ، وصمّم عدم الأكل منها حتى الموت جوعاً ، لأنها كانت سبب في وقوعه في المصيدة وانجذابه إلى طريق الهلاك.

وبالفعل أخذوه بالمصيدة وقتلوه.

ولقد تعلّم الكاهن درساً لن ينساه أبداً ..

عزيزي

ألا ترى معي أن **العالم** كلّه ما هو إلا **مصيدة** كبيرة. وكثيرون في **مصيدة العالم** يشربون الإثم كالماء ويعيشون في شهواتهم ، ويغرقون في ملذّاتهم التي ستقودهم إلى الهلاك. ولا يفلتون إلى النجاة بحياتهم والبُعد عن ملاذ الدنيا الباطلة لكي يربحوا أبديّتهم.

يقول القديس مكاريوس الكبير:

﴿كما أن الطير إذا طارَ عالياً لا يقلق ولا يخاف من الصيّادين أو الوحوش المفترسة لأنه في العلوّ يأمن منهم جميعاً. كذلك النفس تنال أجنحة الروح وتطير إلى الأعالي السماويّة. فإنها تكون فوق كلّ شيء ، وتهزأ بجميع أعدائها الذين هم تحتها﴾.

وقال الشاعر:

تَـزَوَّد مِنَ الدُّنيـا فَإنَّـكَ راحِـلُ
وَاعْلَـمْ بِأَنَّ المَـوتَ لاَ شَـكَّ نَـازِلُ
نَعيمُكَ فِي الدُّنيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ
وَعَيْشُكَ فِي الدُّنيا مُحالٌ وَبَـاطِـلُ
أَلا إنَّمـا الدُّنْيـا كَمَنـزِلِ راكِـبٍ
أَنـاخَ عَشِيّاً وَهْوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلُ

ما هو هدفك

إنّ المسافر الذي (يتسكّع) أمام القاترينات، يصل إلى رصيف المحطة بعد انطلاق القطار .. فلا يصيب الهدف.

لقد أطلقنا اللّه نحو الهدف ، ولا عذر لنا حين نتوانى ، ونلتصق بأهداف صغيرة تعطّل إنطلاقنا ، فنصل إلى أرصفة بلا قطار.

إن عمر الإنسان يبدو قصيراً ـ إذا ما قيس بمقاييس الزمن ـ . فالزمن يبدأ من الأزل ويمتد إلى الأبد وهي مسافة زمنيّة لا قياس لها ولا حدود.

فماذا تعني السنوات القليلة التي يعيشها الإنسان ـ هذه الومضة التي ما تكاد تظهر حتى تختفي ؟

لابدّ أن يكون للّه قصدٌ في ذلك.

ولعلّ أقرب تفسير لهذا هو أن الحياة على الأرض ، ليست في ذاتها هدفاً من خَلق الإنسان ، بل ما ميّزه به اللّه من عقلٍ وَفَهمٍ وإدراكٍ وإمكانيات هائلة.

لكن الحياة هي مجرّد طريق. إن اللّه يوجهنا نحو الهدف الذي يريده لنا وهو أن نخترق السماء وننعم بالمجد الأبدي والحياة المفرحة خلف ستار الزمن.

نحن نحقّق في سنوات العمر اهدافاً كثيرة قصيرة المدى. قد لا تتعارض مع هدف اللّه لنا ، ومع ذلك فإننا نخطىء فهم الحياة إذا حسبناها ـ في ذاتها ـ هدفاً.

فإنّنا حينئذ لا ندرك هدف اللّه من وجودنا ، وهذا لا يجعلنا نبلغ هذا الهدف الكبير.

عزيزي

أنت تحتاج أن تنظر إلى داخلك لتجيب عن عددٍ من التساؤلات:

- ما هي رسالتك في الحياة ؟
- ما الذي يبثّ فيك الحماس ؟
- ما هو هدفك ؟

ربي يسوع

ابعث في قلبي أضواء المعرفة
فجّر في إرادتي طاقات العزم
وليحملني روحك الهادىء نحو السماء.

الذي يحيا بلا رسالة
لا قيمة لحياته.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة الإستعداد للصوم الكبير المقدس

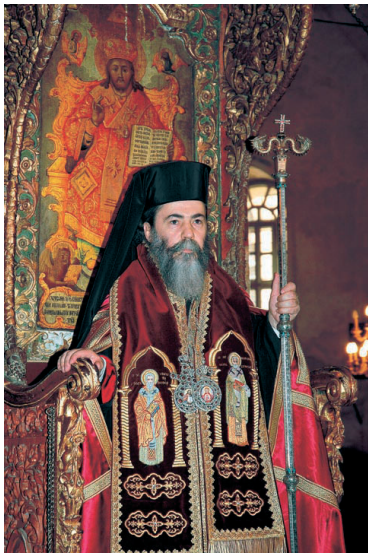

«هلمَّ يا مؤمنون نقتبل فرض الصوم الملهَج به من اللّه بفرَح كأهل نينوى قديماً ونقبلهُ كما قبلت الزناة والعشَّارون كرزَ التوبة من يوحنا المعمدان ، ولنستعدَّ ايضاً بالامساك لمساهمة الخدمة السيدية المكتملة في صهيون ولنسبق فنتنقّى بالدموع لنستحقَّ الغسل الإلهي الصائر فيها مبتهلين ان نشاهد اتمام الفصح الرسميّ وظهور الفصح الحقيقي ولنتهيّأ لان نسجد لصليب المسيح الهنا وقيامته هاتفين نحوهُ لا تُخيِّب رجاءنا يا محب البشر »(ذكصا كينين سبة مرفع الجبن عشية الثلاثاء) .

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح
أيها المسيحيّون الحسني العبادة

إنّ كنيستنا الأرثوذكسية المقدسة تمرّ في مرحلة الإستعداد للصوم الكبير المقدّس ، والذي يتعلق بشكل مباشر مع عيد الفصح المجيد ، عيد قيامة ربنا يسوع المسيح من بين الأموات ، وقيامتنا نحن البشر أيضاً.

إن كنيستنا المقدّسة تدعونا لأن نَلِجَ هذا الصيام بتوبة صادقة وحقيقيّة ، لأن الصيام يقودنا إلى ملكوت اللّه ، ودخولنا الى فردوس النعيم، هكذا قال **القديس باسيليوس الكبير**: «لقد خرجنا من الفردوس بسبب الأكل وعدم الطاعة للصيام ، وليس لنا إلاّ الصوم والطاعة ، لنعود لندخل الى الفردوس ثانية».

لماذا يتمتّع الصيام بهذه المنزلة السامية ؟

يتمتّع الصيام بهذه المنزلة السامية ، لأنه متعلقٌ بشكل جذري مع التوبة الصادقة والحقيقيّة ، حيث يصل كل امرء إلى كُنْه نفسه، أي حقيقة النفس وغايتها ، تماماً كما حصل مع الإبن الضّال، واتخاذه القرار القويم والسليم: «أعود وأرجع الى أبي».

والصيام أيضاً متعلّقٌ بالصلاة وعمقها، فالسيّد المسيح يعتبر نموذجاً يحتذى به. حيث كان يعتزل ويصلي كثيراً، وما صلاة يسوع إلاّ مثالاً لنا لنَخُطَّ بها نهاراً ونلهجها ليلاً ، فهو القائل: «ينبغي أن يُصَلَّى في كلّ حين ولا يُمَلَّ» (لوقا ١٨:١).

وكما يخبرنا الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، نلاحظ أنّ النبي موسى صامَ أربعين يوماً حيث كلّم اللّه على طور سيناء وكذلك النبي ايليا الذي أكل كعكة رضف وكوز ماء من الملاك «فقام وأكل وشرب، وسار بقوّة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل اللّه حوريب» (١ملوك١٩:٨). هذا ما نراه جليّاً عند تجلّي ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح على جبل ثابور ، «وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه» (متى١٧:٣).

إن السيّد المسيح ربّ الأنبياء والشريعة يلتقي مع النبي موسى والنبي إيليا اللذين صاما أربعين يوماً

هذه الحقيقة تُظهر لنا سموّ الصوم المقرون بالصلاة، ومفعولها الذي يوصلنا الى داخل الفردوس.

«والقديسة حنّة النبيّة بنت فنوئيل من سبط أشير، وهي متقدمة في أيام كثيرة ... وهي أرملة نحو أربع وثمانين سنةَ. لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً» (لوقا ٢:٣٧) فهذه القديسة أيضاً عاينت المسيح الإله طفلاً مع أمّه ويوسف ، عندما حمله سمعان الشيخ على يديه الطاهرتين.

من هنا تركّز الكنيسة المقدسة، كما الكتاب المقدس أيضاً على قوّة الصيام ، والتي تعادل قوّة الصليب ، لأنّ الصليب هو السلاح الذي يقمعُ قوّةَ الشيطان ، «هذا الجنس من الشياطين لا يخرج إلا بالصلاة والصوم» (متى ١٧:٢١).

لهذا فالصيامُ بدون صلاة لا يفيدُ شيئاً ، والصلاةُ بدون صيام ليست كافيةً للإرتقاء في سلّم الفضائل والوصول إلى مرحلة التنقية والإستنارة.

فالصيامُ ليس هدفاً بحدّ ذاته ، وإنما هو وسيلةٌ ترافقها لجاجةُ الصلاة ، والتوبةُ الحقيقيّة ، وفضيلةُ الصدقة ، والمحبّةُ الباذلةُ ، المقرونَةُ بالأسرار الإلهية ، وخاصةً سرِّ الشكر الإلهي، حيثُ نستطيع بالمعونة الإلهيّة ، أن ننقّي حواسَنا ، لنخطّ مسيرتنا الخلاصيّة، نحو ملكوت اللّه الساكن فينا ، حيث قال السيّد المسيح : «لأن ها ملكوت اللّه داخلكم» (لوقا ١٧:٢١).

وكما يقول المرنّم: هلموا نحن في الصيام نستقبل ربنا يسوع المسيح ، لنعاين قيامته المجيدة ، لأن الأنبياء ، وخاصة داود النبيّ **أُخبروا** عن سرّ الخلاص في صلب المسيح ، وقيامته الظافرة. آملين أن نعدّ أنفسنا حسناً وبأتمّ وجه، لنستطيع مقاومة إبليس ، والإتحاد بالمسيح يسوع، الذي ينبغي له ، ومع أبيه وروحه القدوس كلُّ مجدٍ وإكرامٍ وسجودٍ إلى الأبد. آمين

وكل عام وأنتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

عظة لأبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كبادوكية

في مديح الشهداء الأربعين

ألا أنه لا شبع لمحبّ الشهداء من ذكرهم. لا سيما إذا كان إكرام الأخيار ممن يشاركهم في العبودية دليلاً على اعتقاد الولاء للسيد الذي هم شركاءُ في طاعته. ولأمرٌ معلوم أن من يقتبلَ الإجلال من الرجال بحبّ وحُسْن قبول لا يتأخر في الأوقات الموافقة لأوقات جهادهم عن التشبه بهم. فبالغ يا صاح في إعطاء الطوبى لمن قد استشهد حتى تصير بالنيّة شهيداً وتفوزَ بذلك منَ غير نار ولا سياط. وتؤهَّل لما قد نالهُ الشهداءُ. ونحن الآن ما حضرنا لنتعجب من واحد ولا من اثنين وليس عدد الذين نغبطهم يقف عند العشرة بل هم أربعون رجلاً ، نفس واحدة في جسوم متعددة. نفسٌ واحدة في اتفاق الرأي. نفسٌ واحدة في الإيمان. كان صبرهم على المصائب والشدائد واحداً وكانت مقاومتهم عن الحق أيضاً واحدة. وكان جميعهم يقرب بعضهم من بعض في اختيار واحد. وهمتهم واحدة. وجهادهم واحداً. فوصلوا منَ ثمّ الى أكَلَّة من المجد متساوية في الكرامة فأي كلام يصل الى وصفهم بما يستحقونهُ. ولو كان لمادحهم أربعون لسانًا لما كفتهُ لمديح فضيلة هؤلاء الرجال وتعظيمها. على أننا نحن لو كان الذي يعجب به واحداً لكَفى في مصارعة قوة كلامنا فضلاً عن أن تكون الجَملة على هذه الصورة من الكثرة ويكونون مصفّاً من الصناديد كاملاً وجمعاً من المجاهدين لا يرام ولا يرتدُّ.

فحالهم في بُعْد الوصول الى مقدارهم من الأوصاف شبيهٌ ببعدهم من الاستيلاء عليهم في الحروب سالفاً. فهلموا لنورد من التذكر بهم منفعة عامَّة كافية لجميع من حضر من حيث أننا نبين فضل هؤلاء الرجال ومبالغتهم في الجهاد ونجعلهم كصورة صحيفة. لأنَ الشجاعة في الحروب قد اعتنى بها وبذويها من يؤَلّف الكتب ويصوّر الصوَر. فالأول من الفريقين يبالغون في ترتيبهم بالوصف والكلام. والثاني يستفرغون جهدهم وقوَّة صناعتهم في تحسين صورة أفعالهم فوق المألوف . وقد دفع كلٌّ فريق من هذين جماعة الى الشجاعة في الدخول الى الجهاد. لأن المصوِّر إذا أخذ جملة الخبر في مسامعه أخرج تصوير شبهه بالحكاية وهو صامت. فعلى هذه الصفة يَجب علينا أن نذكر منَ حضر بفضل هؤلاء الرجال ونجعل أفعالهم كأنها نصب أعيننا فنحرك الأجلاد الذين يحضُّهم ثباتهم على التشبُّه بهم وذلك هو أجلُّ الأوصاف والمدائح أعني تحريك المجتمعين واستدعاءَهم الى الفضيلة. ومع ذلك فلا يقتضي وصف القديسين أن نستخدم أساليب المادحين لأن هؤلاء إنما يأخذون الوسيلة ومبدأ الوصف من أحوال العالم وأما الذينَ قد انصلب عنهم العالم فكيف يمكن أن شيئاً من أشيائه يزيدهم فضلاً.

ومع ذلك فلم يَكن لهؤلاء القديسين وطنٌ واحد بل كلٌّ منهم كان من موضع غير موضعَ الآخر فماذا ينبغي أن نقول أنهُ لم تكن لهم مدينة أم نقول أنهم كانت المسكونة كلها كمدينة لهم. وما أشبه حالهم في هذا الباب بالذين يتشاركون ويجمعون فيما

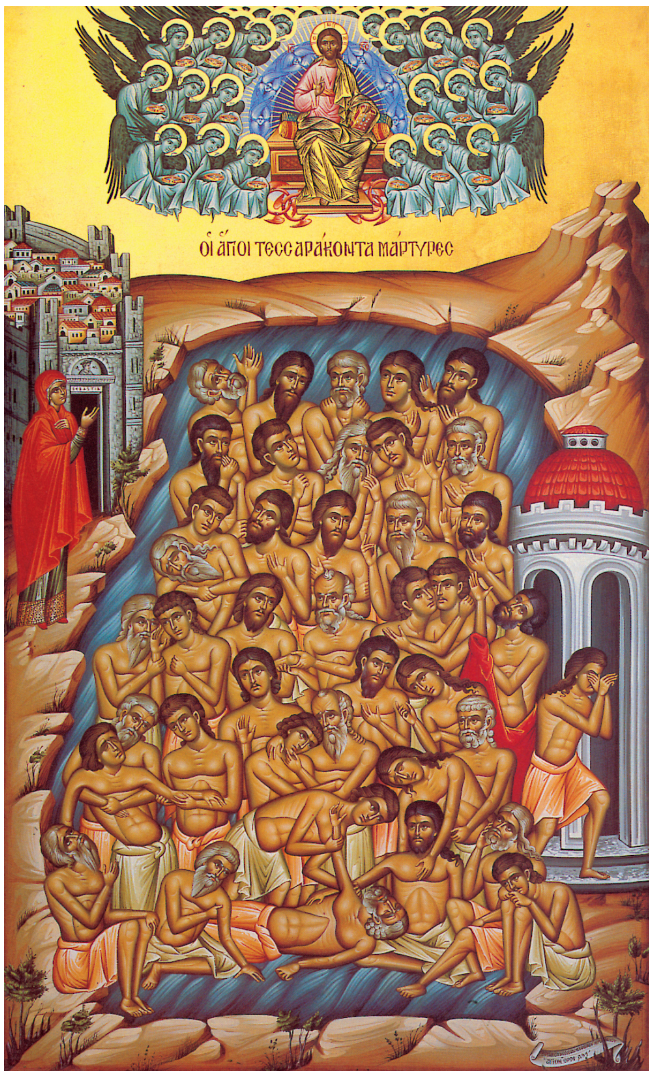

بينهم شيئاً فتكون الجماعة مشتركة فيه. فهذه صفة حال هؤلاء المغبوطين فإن وطن كل واحد منهم كانَ وطناً للجماعة. كلهم منَ مواضع مختلفة يخص كل واحد منهم صاحبهُ بوطنه. بل ما لي أطنبت في بابهم وأنا أذكر أوطاناً أرضية فَلَآتِيَنَّ وَأُبَيِّنَ مدينتهم أيّة هي. إن مدينة الشهداء بالحقيقة هي مدينة اللّه التي هو خالقها وصانعها أورشليم الحرَّة والدة بولس ومن يقارنهُ. وأما الجنس فكلٌّ منهم كان لهُ جنس يخالف جنس صاحبه. وأما الجنس الروحاني فهو لجماعتهم واحدٌ ووالدهم فيهِ الذي يشتركون في أُبوَّته هو اللّه. وهم كلهم غير مولودين منَ والد واحد وأمٍّ واحدة بالجَسد بل من بنوَّة الروح باتفاق المودَّة ينتظم أحدهم مع الآخر فيصيرون صفّاً واحداً معدّاً ممن يسبّح للرب منذ الدهر زائداً زيادة عظيمة جداً.

وانقضاءُ حياتهم لم يكن واحداً بعد واحد بل كان انتقالهم كلهم معاً. وأما حال انتقالهم فهي أن هؤلاء لموضع أجسامهم وحداثة سنّهم وعنفوان شبابهم كانوا يزيدونَ على غيرهم ممن كان في زمانهم فَرُتِّبوا بحسب ذلك في مراتب الجندية. ولموضع نظرهم في الحروب وشجاعة نفوسهم كانت لهم من الملك الكرامات الأولى وكانوا لأجل فضيلتهم معروفين عند كل أحد.

إلا أنه لما خرج النداءُ الكافر البعيد من اللّه ونودي به في كل مكان: ألاّ يعترف أحد بالمسيح إلاّ ويذوق الوصب(الألم) وينتظر العطب ووقوع التهويل في ذلك بأنواع العقوبات وأصناف التعذيبات. وكان غضب قضاة الباطل على من حسُنت عبادتهُ غضباً وحشيّاً.

وكانت الاغتيالات والدغل قد أُهتمَّ بتحصيلها وتنضيدها وكانت أنواع العقوبات قد استعدت وجرى أحكامها والذين يعاقبون بها لا يندفعون والنار مستعدة والسيف مصقول والصليب منصوب والبئر محفور والبكَر جارية والسياط مضفورة. حينئذ كان قوم يهربون وقوم مضطربين وقوم قبل ممارسة هذه الأشياء منزعجين من الوعيد وحدهُ. وآخرون لما قربوا منها اعتراهم الدَوار. وقوم بعد دخولهم في الجهاد لم يطيقوا الصبر الى منتهى الجهاد ففي منتصف جهادهم انحلُّوا كالذين تلحقهم الشدَّة في نفس اللجة. عطبوا وعطب ما كان معهم من أحمال الصبر وتجارته. في ذلك الحين حضر هؤلاء الأجلاد جند المسيح الذين لا ينحلون ولا يخورون فرموا بأنفسهم في وسط الجمهور. فأبرز الرئيس منشوراً من الملك وطالب بطاعته فيما رسمهُ فأطلق الشهداءُ من أفواههم نغمة واحدة مطلقةَ. وبيَّنوا من قلوبهم جراءَةً وشجاعةً صادقةً ولم يرُعهم ما أبصروهُ ولا ذهلوا من الوعيد الذي سمعوهُ بل لما صاروا في الوسط قالوا: يا قومُ نحن مسيحيون. فيا لها من ألْسُن مغبوطة وافواه سعيدة ابدت هذه النغمة وصرخت هذا الصوت الذي لما قبلهُ الهواءُ تقدَّس وسمعتهُ الملائكة ففرحت **وأحسَّ به إبليس المحال وشياطينهُ فتجرحوا**. وعرفهُ الربُّ في سمائه فكتبهُ وأثبتهُ. قال كل واحد وهو منفرد في الوسط: إني مسيحيٌّ . فأشبّه هؤلاء المذكورون الذين يدخلون في مقامات الجهاد فيذكرون في أول أمرهم أسماءَهم ثم يتقدمون فيما بعد الى جهادهم وصراعهم. لأن هؤلاء في ذلك الوقت أطرحوا اسماءهم التي سموا بها من بلادهم ودعا كلٌّ منهم ذاتهُ باسم المخلص الذي يشاركهُ فيه غيرهُ فكان الواحد منهم يفعل ذلك والآخر يتلوهُ فصار الاسم لجماعتهم واحداً ليس فلان وفلان بل نادوا عن أنفسهم أنهم «مسيحيُّون».

فماذا صنع حينئذ المتقلد في ذلك الوقت أمرهم وقد كان شديد الحيلة داهية في الحكَمة ليدخل بنوع من المداراة وبنوع آخر من التهويل إلا أنه ابتدأ في الأول بمحاولة إرخاء قوة حسن عبادتهم فقال: «يا قوم لا تهلكوا شبابكم. لا تبيعوا أنفسكم. لا تعتاضوا من هذه الحياة اللذيذة بموت مرٍّ في غير وقته. وأنهُ لأمرٌ شنع بمن كانت آثارهُ في الحروب معروفة مفضَّلة أن يموت موت الأشرار». ومع هذا وعد بأموال وأحضر بعضها وضمن عن الملك مراتب وكرامات. واستعمل من هذا النوع حيَلاً كثيرةً في التدبير عليهم. فلما لم ينسجوا الى هذا النوع من سياسته. انتقل الى النوع الآخر من حيلته. فذكر الضرب والموت وأنواع العقوبات. هذا ما ذكرهُ هذا من وعيده. وأما جواب الشهداء فكان: «لمَ تروم أن تخدعنا يا محارب اللّه وتطلب أن تبعدنا من الإله الحيّ وتجعلنا في خدمة شياطين مهلكين. وتقدم في قولك ما ذكرتهُ من الخيرات. واي شيء تعطينا يكون عديلاً على السماء، لما تريد أن تأخذهُ منا. فإني أنا واحد من هؤلاء. أبغض هبةً تفيدني خسارةً. ولست أقبل كرامةً هي للهوان والدة. ألعلَّك تعطي مالاً؟ إلا أنهُ لا يكون باقياً. وتبذل شرفاً زاهراً؟ إلا أنهُ يكون الى الزوال عن قريب صائراً. وتجعلني عند الملك معروفاً؟ إلا أنك تصيرني من الملك الصادق بعيداً. فما بالك تفعل فعل شحيح في بذل القليل من أحوال العالم؟ إنك لو بذلت العالم كلهُ لكان عندنا حقيراً. وكل ما يبصر فيه ليس ما نشتهيه ونرجوهُ كفوءاً وعدلاً. إلا أنهُ ليس شيءٌ من هذه الأشياءَ كلها يساوي غبطة الصديقين إذ كانت هذه الأشياءُ كلها زائلة. والتي ننتظرها نحن باقية. وشوقي أنا إنما هو الى نوال إكليل واحد وهو إكليل العدل. ولقد وُلهتُ بحبّ مجد واحد وهو الذي أجدهُ في ملك السماوات. وإني لشديد التباهي لكن بما في العلو من الكرامات. وإني أحذر عقوبة واحدة وهي عقوبة جهنم تلك التي نارها محرقة وأما النار التي تهوّلون أنتم بها فهي شريكة لي في العبودية وربما خَجِلَت إذا رأَتْ من استهان بالأصنام. وضرباتكم إنما هي عندي مثل سهم يرشقهُ أحد الصبيان. وأنت إنما تضرب جسماً إذا أمكنهُ الزيادة في الصبر زاد إكليلهُ في البهاء. وإذا سبق فتولَّى وسارع الى الانحلال فأنما ينصرف خائباً وقد كفى أذى قضاة حصاب (حَصَبَ = كل ما يلقى بالنّار مثل الحطب والوَقود) مثلكم قد دُفع إليهم السلطان على الأجسام وهم يرومون السيادة على النفوس. ومتى لم تقدروا على إبعادنا من إلهنا صار عندكم ذلك أصعب الاشياء. والغاية في المساءّة أنكم قدَّمتم لنا هذه العقوبات المفزعة وليس لكم حجة علينا سوى حسن عبادتنا غير أنكم ستجدون منَّا رجالاً لا يعتريهم جُبنٌ ولا حبُّ الحياة ولا تذهلهم كثرة الأموال. بل يستصغرونها في جانب حبّ اللّه فها نحن قوم قد استعدَّينا للدوران على البكَر. وللكيّ وللعصر. والشدّ الى الأوتاد. والحريق بالنار والصبر على كل صنف من أصناف العذاب».

فلما سمع البربري المتجبّر هذا الكلام لم يصبر على دالَّة هؤلاء الرجال بل احتدم غيظاً وفكر في حيلة طويلة يجدها يريد بها أن يبلغ مرادهُ منهم في مرارة موتهم فوجد لَعمري حيلةً وانظروا كيف هي صعبة.

إنهُ نظرَ الى طبيعة الليل أنها باردة والى ذلك الأوان من السنة أنهُ شتاءٌ ورصد ليأً يطلب به أن يشتدَّ عليهم فيه الضرُّ وكانت قد هبَّت رياح شمالية فأمر بتَعذيبهم معرضين للهواء في وسط البحيرة التي في المدينة حتى يكون موتهم من الصقيع والتجمد. والذين ذاقوا لوعة البرد وشدة قارسه، يعلمون شدة هذا الصنف من العقوبة. ومن الممتنع أن يشعر به إلاّ من سبق فذاق ألمهُ. فإنهُ يعرف صحة ما يقال ـ وذلك أن الجسم إذا تعرض للبرد صار لونهُ في أول الأمر مكمداً لموضع تجمد الدم. ثم تلحقهُ الرعدة ويختبط منهُ الإنسان وتتقلص منهُ الأعصاب ويتجمع سطحهُ كلهُ بغير اختياره فيعرض من هذا وجع شديد وألمٌ لا يستطاع وصفهُ. ثم يصل الى المخاخ فيحسُّ من بُلي به بضيق التنفّس الى أن تتقطع أطرافهُ كما تتقطع من حريق النار. ولعمري أن الحرارة الغريزية إذا انطردت من أقطار الجسم وهربت الى جوفه ودواخله لا تزال تكدُّه الى الموت وتسعى في جسمه قليلاً قليلاً بالتجميد ـ ففي ذلك حُكم على هؤلاء القديسين أن يبيتوا تحت

السماء وكانت هناك بحيرة والمدينة حولها ففيها كان جهادهم ، وكانت قد صارت كبقعة تجري عليها الخيل لأن الصقيع جلَّد الماء على وجهها وصارت كأرض توطيءُ ظهرها لمن يريد أن يمشي عليها وكانت الأنهار الجارية وطبيعة المياه السائلة قد تحولت الى صلابة الصخور وكانت الريح الهابّة من الشمال قارسة تورد بكل حيوان ترد عليه مورد الموت والهلاك. فلما سمع الشهداءُ في ذلك الوقت هذا الأمر (أنظر هنا شدَّة بأس هؤلاء الرجال التي لا تغلب) طرح كل واحد منهم ثوبهُ الأخير (قميصهُ) بفرح وسرور وتسابقوا الى الموت بالبرد كأنهم قد أُمروا بغنيمة يقتسمونها. وقالوا: هل تظنون أننا ننزع عنّا ثياباً لا بل نطرح الإنسان **العتيق الفاسد بشهوات الخديعة** ، نشكر لك يا رب عندما نطرح مع هذا الثوب **الخطيئة أيضاً** إذ كنا لبسناهُ من أجل **الحيَّة** قديماً. فعلينا أن ننزعهُ من أجل المسيح.

ولا ينبغي لنا منذ الآن أن نتمسك بثياب وأطمار بل نستهين بها من أجل الفردوس الذي نريد أن نرثهُ. وبماذا نقابل ربّنا وقد كان تعرّى لأجلنا ؟ وأي قَدْر كبير يكون لعبد في صبر صبرَ على مثله مولاهُ ؟ وأكثر من ذلك لعمري. إننا نحن الذين عرَّوهُ. لأن تلكَ الجسارة كانت من جند مثلنا وهم الذين عرَّوهُ واقتسموا ثيابهُ بينهم وجعلوا علينا علامةً مكتوبة فينبغي أن نمحوها بأنفسنا: الشتاءُ قاس. إلاّ أن الفردوس حلوٌ ولذيذٌ. التجمُّد أليمٌ. إلا أن الراحة في الجنان نعيم. تصبروا قليلاً. فسنحصِّل الدفاءَ في حضن ابراهيم. وينبغي لنا أن نشتري بليلة واحدة الدهر كلهُ وهو الذي يدوم. فلنستهن بلذع الأرْجُل. لنتخطر معَ الملائكة بغير فتور. وتنفصل الأيدي حتى يصير لها دالَّة أن ترفع فيما بعد الى السيد. فكم جنديّ من أصحابنا سقط من المصاف في حفظهم الأمانة لملك فاسد. أَفَتَرَون لنا نحن ألاّ نسلم حياتنا عن الإيمان بالملك الحق. وكم من عمال شرور صبروا على الموت وقد نالوهُ على باطل وفساد قد ارتكبوهُ. أفلا نصبر على موت من أجل الحقّ. فإياكم أنَ ينثني عزمنا يا شركائي في الجندية أو نولّي الادبار من وجه إبليس. لحماتنا لا ينبغي أن نشفق عليها. وإذ كان لا بدّ من الموت فما أولانا أن نموت موتاً يورثنا الحياة فلتكن ذبيحتنا اليوم مقبولة قدامك يا رب. ولتحسَب لنا ضحية حية مرضية لك في هذا البرد وقرباناً جيداً يحرق كلهُ وحريقهُ جديدٌ أي ليس بنار بل إنما أُحرق كلهُ من البرد.

فلم يزالوا يتعزّون بمثل هذه الأقوال ويحرض أحدهم الآخر الى أن صرفوا ليلهم كلهُ كخفراء يحرسون وهم متجلدون على جميع ما أدركهم. ومسرورون بما يؤملونه. وضاحكون على عدوّهم. وكأن دعاؤُهم جميعهم واحداً وهو قولهم: ربّنا إننا دخلنا الى هذه الفرقة أربعين فاجعل تيجاننا أربعين لا تنقص من العدد أحداً. لأن هذه الكمية من العدد بأربعين يوماً من الصوم بمثلها دخل الناموس الى العالم. وبمثلها طلب إيليا الربُّ فوصل إليه.

ولعمري أن هذه كانت صلاتهم إلا أنَ واحداً منهم خار عزمهُ من الشدّة فنكص ونقص وانكفأ وارتدَّ الى الوراء. فخلّف لأصحابه القدّيسين حزناً تعزُّ فيهِ التعزية.

إلاّ أنَ الربّ لم يخالف دعواتهمَ ولا ترك عددهم ينقص عن التمام. وذلك أن الذي إيتمنهُ الأشرار على حراسة الشهداء الأبرار كان بالقرب على مشهد واقفاً يَصطلي وينظر الى ما هو يكون وهُو مستعدٌ لقبول الذين يلتجئون. وكان قد احتيل بحمّام بالقرب معدٍّ للملتجئين بمعونة سريعةً عاجلة إلا أنّ هذا الذي احتال به الأضداد في موضع مثل هذا بقرب مشهد جهاد الأخيار ليكون قرب العزاء منهُ طريقاً الى انحلال صلابة المجاهدين أنّ هذا بعينه صار سبَباً لزيادة بهاء صبر المستشهدين لأنهُ ليس على الصبور بعسير أن يجدَ الضروري من المطلوب بل الثابت على الصعوبة وقد تيسرت لهُ الراحة ذاك هو الفاضل الموصوف.

إلا أنهُ عندما كان الشهداءُ يجاهدون وذلك الحارس يتأمّل ما يكون رأى منظراً عجيباً رأى أكلَّة قد انحدرت من السماء كأنها توزَّع من قبَل ملك على الجند مع المواهب جليلة فوزعت على الشهداء الثابتين كلهم وترك واحدٌ وحدهُ لم يعطَ شيئاً من الكراماتَ إذ لم يكن أهلاً طنَحَ السماوات وهو الذي جَبن من الوجع فهرب الى الأضداد وصارَ منظراً مرحوماً عند الأبرار جنديّاً هارباً صنديداً أسيراً خروفاً من قطيع المسيح فريسة للوحوش الضارية.

إن هذا تنازل عن ملكوت السموات ولم يتمتع بحياة الأرض لأن لحمهُ لما قابلتهُ السخونة انحلَّ في الحال وكان سقوطهُ بغير منفعة إلا أن الحارس لما رآهُ قد مال. والى الحمام قد سار طرح نفسهُ في موضعه وملأَ مكانهُ الذي كان قد نقص ورمى بما كان لابسهُ. وصار يصَيح مع العراة بصوت القديسين نفسه قائلاً: «أنا مسيحي» فبسرعة انتقاله بغتةً أذهل جماعة الحضورَ. وتمّ العدد. وأزال ما كان اعترى الشَهداءَ القديسين من الغمّ والإنزعاج على المنحَلّ بالزيادة التي منهُ بنفسه. ويشبَّه هذا بذوي الصفوف التي إذا أخلَّ واحدٌ منهم نصبوا للوَقت بدلهُ. فإن هذا قد صنع كذلك إذ أبصر المناظر السماوية وعرف الحقَّ فلجأَ الى السيد وحصل في عدد الشهداء. وجدّد حال التلاميذ إذ انصرف يهوذا ودخل متياس وصار شَبيهاً بولس الذي كان بالأمس مضطهداً فصار اليوم مبشّراً وقد جاءَتهُ الدعوة من فوق لا من الناس وآمن باسم ربّنا يسوع المسيح ،وتعمد لهُ وليس من قِبَل غيره بل من إيمان ذاته وليس بالماء بل بدمه.

ولما كان في صبيحَة ذلك اليوم سلّم الشهداءُ الى النار وفيهم شيءٌ من الروح والذي تبقى من بقايا أجسامهم طرح في النهر.

فيما أنهم جاهدوا على الأرض وصبروا على الهواء وَسُلِّموا الى النار وطُرحوا في الماء. صحَّ فيهم قول القائل «جزنا في النار والماء. وأخرجتنا الى الراحة»(مز٦٥:١٢) والأربعون هم مجتمعون كافةً وهم كلهم عند كل واحد منهم ، فهم كلهم الإحسان الذي لا يعتريه بخلٌ والنعمة التي لا تنقص والمعونة المعدَّة للمسيحيين التي لا تتأخر. جماعة من الشهداء. وجيش يحمل الظفر. وصفٌّ من المسيحيين.

كم كنتَ تتعب لتَصل الى واحد يشفع فيك عند الرب وهؤلاء هم أربعون رجلاً. والصلاة التي يوردونها عنك نُطْقهم بها واحد. وقد قال ربُّنا «أينما كان اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون هناك بينهم» وحيث ما كان أربعون فمن يشكّ بحضور اللّه بينهم. **فالمغموم** الى أربعين يلتجئُ **والمجبور** (جَبَرَ=من وقع في مصيبة) إياهم يقصد. أحدهما ليجد ما يحلُّ عنهُ العقوبات. والآخر لينال ما يحفظ عليه الصالحات. إلا أنهُ يوجد ههنا (أي في محفل الشهداء) امرأة مؤمنة بسبب ولدها داعية. عودة رجل لها غائب متوسلة. وبعليل لها طالبة خلاصاً وعافية. فلتكن مع الشهداء طلباتك. وذلك إن أمَّ واحد من أولئك المغبوطين رأت جماعتهم قد توفّوا وقضوا آجالهم من البرد ورأت في ولدها بعدُ روحاً وهو يتنفس وقد تركهُ الأشرار بعد قوَّته وصبره على الجهاد بحسب قدرته وفي ظنهم أنهُ ينثني عزمهُ. فهذه الإمرأة أخذت ابنها بيدها وتركتهُ على العجلة التي كان الباقون مرصوفين عليها مرسلين الى النار. فهذه على الحقيقة والدة وشهيدة إذ لم تسكب دمعة ركيكة ولا لفظت ذليلة غير جديرة بذلك الوقت. بل قالت امض يا بني بسلام. تمسَّك بالطريق الصالحة مع أقرانك مع مُساكينك مع أندادك لا تتخلف عن مرافقتهم ولا تظهر لدى السيد بعدهم وتكون ثابتاً في الوقوف أمامهُ.

ولعمري أن الأصل صالح وفرعهُ صالح أيضاً ولقد بيَّنت هذه الأمُّ الشجاعة أنها كانت تغذي ولدها بالإيمان الصحيح أكثر من تغذيتها لهُ بالحليب فالذي كانت قد ربتهُ هذه التربية مضى على هذه الصفة مرسلاً من جهة أمٍّ صالحة. وأما الشيطان فانصرف خازياً إذ كان قد حرَّك عليهم الخليقة كلها فخارت قوتهُ دونهم ونقصت عن فضيلة شجاعتهم. وقد كانت تلك الليلة ليلة عبوسة بصعوبة الرياح والبلد باردة والشتاءُ شديداً والفصل صعباً وأجسام الشهداء عارية وقد لاقت كل صعب شديد. فيا مصفّاً مقدساً ويا سلكاً طاهراً ويا سلسلة متصلة ويا حفَظَة لجنس البشر. أنتم المشتركون في المهمات الصالحة. أنتم المساعدون على الطلبات للحاضرين. أنتم الشفعاءُ الأقوياءُ أنتم كواكب العالم. أنتم زُهْر الكنائس. فالأرض لم تحجبكم بل السماءُ اقتبلتكم. وقد فُتحت لكم أبواب الفردوس وصرتم مشهداً للملائكة مستحقاً لرؤَساءُ الآباء والأنبياء والصديقين. وإذ كنتم رجالاً في عنفوان الشباب استهنتم بالدنيا وأحببتم الرب أكثر من الوالدين وكانت سنكم في الزمان السنَّ الذي يليق بها الحياة فاحتقرتم هذه الحاضرة لتمجّدوا اللّه في أعضائكم وصرتم شهيرين في العالم وعند الملائكة وعموم البشر فيقال فيكم بواجب: أنهم قد أنهضوا المنحطمين وثبتوا المرتابين وضاعفوا شوق المؤمنين وأقاموا ظفراً واحداً عن حسن العبادة فزُيّنوا بتاج واحد من البرّ بيسوع المسيح ربنا لهُ المجد إلى الأبد آمين والسبح للّه دائماً سرمداً. الذي له المجد والعزّة إلى أبد الدهور آمين .

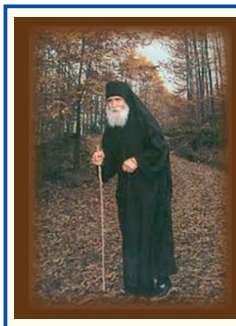

الرّاهب والمسافر

قالَ وَهبُ بنْ مُنَبِّه: صَحبَ رَجُلٌ بعضَ الرُّهبان سبعةَ أيّام ليَستَفيدَ منْهُ شَيئًا فَوَجَدهُ مَشْغُولاً عَنْهُ بذكْر اللّه تَعالَى والـفكْرُ لا يَفْتُرُ * فالْتَفَتَ إلَيّـه في اليَوْمِ السَّابعِ فقال: يَا هذا قَدْ عَلمْتُ مَا تُريدُ * حُبُّ الدّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطيئَة والزُّهْدُ في الدُّنيا رأسُ كُلِّ خَيْرٍ * فاحْذَرْ رَأْسَ كُلِّ خَطيئَة وارغَبْ في رَأْس كُلِّ خَيْرٍ * وَتَضَرَّعْ إلى رَبِّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ * قالَ: فَكَيْفَ أَعْرفُ ذَالكَ. قالَ: كَانَ جَدّي رَجُلاً منَ الحُكَماء قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيا بسَبعَة أَشْيَاءَ فَشَبَّهَها :

* بالماء المِلْح يَغُرُّ وَلا يُروي . وَيَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ.
* وبالبَرْق الْـخُلَّـب يَغُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ.
* وَبسَحاب الصَّيْف يَمُرُّ وَلاَ يَنفَعُ.
* وَبظلِّ الغَمام يَغُرُّ وَيَخْذُلُ.
* وَبزَهر الرَّبيع يَنضُرُ. ثُمَّ يَصْـفَرُّ فَتَراهُ هَشيماً .
* وَبأَحلام النَّائم يرى السّرُورَ في مَنامه فإذا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُن في يَده إلاَّ الحَسْرَةُ.
* وبالْـعَسَل الْـمَشُوب بالسُّمِّ الزُّعاف يَغُرُّ ويَقْتُلُ.

رأس الحكمة مخافة اللّه

يَـا خَالطَ الدّين بالدُّنيا وباطلها
تَرضَى بِدُنيَاكَ شَيْئاً لَيْسَ يَسْـوَاهُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ في لَـهْوٍ وَفي لَعِبٍ
والمَوتُ نَحْوَكَ يَهوِي فَاتحاً فَاهُ

الجحيم والنعيم

جوارجيوس ميتالينوس
عميد كليّة اللاهوت في جامعة أثينا

يُحكى في الأناجيل عن «الملكوت» و«النار الأبديّة». ويتبيّن من النّص الّذي يُقرأ في أحد مرفع اللحم (متّى الإصحاح الخامس والعشرون) أنَّ «الملكوت» هو عبارة عن المكانة والتعيين الإلهيين للإنسان. وأمّا النار فقد «**أُعدّت**» لإبليس وملائكته (أي الشياطين) وهذا الأمر ليس لأنَّ اللهَ يرغب بهذا بل لأنَّهم لا يتوبون. أمّا «الملكوت» فقد «**أُعدَّ**» لأولئك الّذين هم مُخلصون للمشيئة الإلهيّة. إنَّ «الملكوت» أي المَجد الغير المخلوق يعني الفردوس أو الجنّة وأمّا «**النار**» الأبديّة فتعني العذاب الأبدي. يدعو اللهُ في بداية التاريخ البشري الإنسان إلى الفردوس وإلى الاشتراك في نعمته الغير المخلوقة. ويقف الإنسان في نهاية هذا التاريخ أمام الجحيم والجنّة أو الفردوس. وسنرى لاحقاً ما معنى هذا الكلام. لكن يتوّجب علينا أولاً أن نحدّد ونقول بأنَّ هذه هي المسألة الأساسيّة لإيماننا الأرثوذكسي حجر الزاويّة بالنسبة للأرثوذكسيّة.

يُحكى في العهد الجديد في كثير من الأحيان عن الجنّة والجحيم. يقول السيّد المسيح للّصّ:«اليوم تكون معي في الفردوس» (لوقا٢٣:٤٣) ، لكنَّ اللصَّ أيضاً يذكر الفردوس بقوله: « اذكرني يا ربُّ.. في ملكوتك» (الآية:٤٢). وبحسب ثاوفيلاكتُس البلغاري المطوّب (المدعو أيضاً بالأخريدي) «إنَّ اللصَّ هو الآن في الفردوس أو الجنّة أي الملكوت». ويعترف القدّيس الرّسول بولس بأنَّه وقد كان ما يزال بعد في هذا العالم قد «أُختُطفَ وأُخذ إلى الفردوس وسَمعَ كلاماً لا يُنطقُ به والّذي يستحيل على الإنسان أن يتفوّهَ به» (٢كورنثوس١٢:٣-٤). ويُقال في سفر الرؤيا: «من يغلب فسأُعطيه أن يأكل من شجرة الحياة الّتي في وسط فردوس اللّه» (رؤيا٢:٧). يُعطينا الحارث (أريثا) القيصري التفسير التالي: «يجب أن يُفهَمَ بأنَّه الحياة المغبوطة والأبديّة.» إنَّ الفردوس أي الحياة الأبديّة وملكوت الله هما واقعٌ واحد.ويُحكى عن الجحيم في الأماكن التاليّة: (متّى٢٥:٤٦) «في العذاب الأبدي» ، (٢٥:٤١) «في النّار الأبديّة» ، (٢٥:٣٠) «في الظلمة الخارجيّة»، (٥:٢٢) «نارُ جهنَّمَ» ، (١يوحنّا٤:١٨) «يوجد حزنٌ في الخوف» حيث أنَّه تؤخذ في كلِّ هذه المواضع بعين الاعتبار عبارة «**الجحيم** ».

ليس الفردوس والجحيم مكانين مختلفين. إنَّ هذه هي وجهة النظر الوثنيّة عنهما، بل إنَّهما حالتان (طريقتان) مختلفتان تنبعان من عين غير مخلوقة أزليَّة واحدة وتُعاش هاتان الحالتان كتجربتان مختلفتان. يتعلّق الأمر على وجه أخصَّ باختبار ومعايشة حالة ذهنيّة يختبرها الإنسان بطريقة مختلفة تتوافق مع حالته الداخليّة. إنَّ هذه المعايشة هي التبصُّر (التأمُّل) في المسيح وفي نور لاهوته ومجده الغير المخلوق والأزلي. كلُّ الناس سيرون المسيح في نوره الغير المخلوق والأزلي وفي أبديّة لا متناهيّة عند مجيئه الثاني. عندها «سيخرج: الّذين عملوا الصالحات وسيقومون للحياة الأبديّة وأمّا الّذين عملوا السيئات فسيقومون للدينونة.» (يو٥:٢٩) ، وسيُقسم الناس في حضرة المسيح إلى «خراف» و «**معزٍ**» وإلى واقفين عن يمينه وواقفين عن يساره. فبعضهم هم الّذين ستكون بالنسبة لهم الرؤية (التأمُّل) في المسيح هو فردوس («جمالٌ لطيفٌ للغاية») وأمّا الآخرون فهم الّذين سيكون بالنسبة لهم هذا التأمُّل أو الرؤية جحيم («نارٌ مُحرقةٌ» عب١٢:٢٩).

إنَّ الفردوس والجحيم هما واقعٌ واحدٌ. يُحدّثنا مظهر المجيء الثاني عن هذا الأمر. تنبع من المسيح بحيرةٌ تكون في قسمها العلوي حيث يكون القدّيسون لامعةً كالذهب وأمّا في قسمها السُفلي حيث توجد الأرواح الشرّيرة والناس الغير التائبين فتكون هناك بحيرةٌ ناريّةٌ ، أي الّذين لم يتوبوا أبداً ،كما يُرتّل في إحدى طروباريات « كلُّ نسمة فلتسبّح الرّبّ» (في أحد مرفع اللحم) ولذلك قيل عن المسيح في (لوقا ٢:٣٤): «ها إنَّ هذا قد وُضعَ لسقوط وقيام الكثيرين.» يصبح المسيح بالنسبة للّذين قبلوه وقبلوا شفاء قلوبهم المقدَّم لهم من قبله **قيامةً في حياته الأبديّة** أمّا بالنسبة لأولئك الّذين رفضوهُ **فسقوطاً وجحيماً**.

أمَّا بالنسبة لشهادات الآباء القدّيسين: فيقول لنا القدّيس يوحنّا السُلَّمي «بأنَّ نور المسيح الغير المخلوق هو نارٌ مُحرقةٌ ونورٌ مُقدِّسٌ.» ويشير القدّيس غريغوريوس بالاماس: «إنَّهُ يقول سيُعمِّدكم بالروح القدُس والنّار أي بالتأكيد وبدون نزاع عن طريق التقديس والعقاب بقدر تهيؤ كلِّ واحد منا سيجازيه بالمقابل.» وفي مكان آخر: إنَّ نور المسيح « رغمَ كَونه واحد يُوّزع للكلِّ لكن ليس بنفسِ المقدار بل بمقادير مختلفة.»

وبالتالي لا يكون الفردوس والجحيم **ثواباً** أو **عقاباً** (دينونةً) فقط بل هما أيضاً الطريقة الّتي سيحيا بها كلُّ واحد منَّا رؤية المسيح بحسب حالة قلبه. إنَّ اللّه في الواقع لا يعاقبنا بالرغم من أنه يُحكى في الكتاب المقدّس عن العقاب بهدف تربوي. إنَّه بمقدار ما يصبح الإنسان روحانيّاً بمقدار ما يفهم لُغة الكتاب والتقليد المقدّس. إنَّ قبول النور الإلهي كفردوس أو جحيم يتعلّق بحالة الإنسان الداخليّة. إنَّ المسألة الأنثروبولوجيّة في العقيدة الأرثوذكسيّة هي كيف بالتحديد سيرى (سيتأمّل) الإنسان في المسيح في الأبديّة **أكجحيم** أم **كـفردوس**؟ أي كيف سيشترك في «ملكوته» السماوي والأزلي؟ هنا يظهر الفرق واضحاً في الأرثوذكسيّة عن باقي الأديان. ليست الأرثوذكسيّة هي مسألة

ازدهار ونمو أخلاقي بل مسألة شفاء من « مرض التديّن» كما يبشّر دائماً الأب يوحنّا رومانيديس بروح أبويٍّ مقدّس. إنَّ الأرثوذكسيّة هي مشفى واضحاً في التاريخ («مشفى روحي» بحسب قول القدّيس يوحنّا الذهبي الفم) الّذي يُقدِّم شفاءالقلب (أي التطهير) لكي يتمكّن الإنسان من الاستمرار نحو طريق التقديس المُعطى من قبل الـروح القدُس وأن يصل في النهـاية إلى «التأله» وإلى الغاية الفريدة المخصّصة للإنسان. إنَّ هذا السفر كما رُوِيَ من قبل الأب يوحنّا رومانيديس والمطران ايوروثيوس پلاخوس هو شفاء الإنسان الّذي توّصل إليه جميع القدّيسون.

هذا هو **معنى الحياة في جسد المسيح ـ الكنيسة ـ وسبب وجودها وغاية عمل المسيح بكامله**. يقول القدّيس غريغوريوس بالاماس في (العظة الرابعة عن المجيء الثاني) بأنَّ القرار الأبدي للإنسان يجب أن يكون أنَّه ينبغي له أن يختار أن «يسع في نفسه عظمة الملكوت الإلهي» أي أن يصل إلى التأله. هذه هي غاية الخلق. ويُكمل:«لكن والتواضع الإلهي الغير المنطوق به وحياة الإله المتأنّس والآلام الخُلاصيّة وجميع الأسرار (أي عمل المسيح الأرضي بكامله) أيضاً ، من أجل ذلك يكون قد سبق وتعيّن الخلق لهذه الغاية بشكلٍ منظّم وكُلّيُّ الحكمة.»

إنَّ الأمر الوحيد الّذي له معنى هو أنَّه ليس جميع الناس يجيبون على دعوة المسيح لهم ولذلك ليس جميعهم يشتركون بنفس الطريقة في مجده الأزلي الغير المخلوق. يتحدّث السيّد المسيح عن ذلك في مثل ألعازر الفقير (لوقا الإصحاح ١٦) فعندما ينكر الإنسان موهبة المسيح يصبح عدواً للّه ويرفض خلاص المسيح المقدَّم له (هذا هو التجديف على الروح القدُس بعدما أن نكون قد قبلنا دعوة المسيح «في الروح القدُس»). هؤلاء هم الّذين يُقال عنهم في الترتيلة الكنسيّة بأنَّهم «لا يتوبون أبداً». «إنَّ اللّه لا يُظهر عداوةً أبداً » كما يقول القدّيس يوحنّا الذهبي الفم وإنَّما نحن أنفسنا نصبح أعداءه وننكره. الإنسان الّذي لا يريد أن يتوب يصبح كالأرواح الشرّيرة لأنَّ هذا يكون اختياره في حين لا يرغب اللّه بذلك. ويكتب القدّيس غريغوريوس بالاماس: « لأنّ هذه ليست رغبتي السابقة فأنا لم أخلقكم من أجل هذا ولم أُهيّأ لكم النار ، فإنَّ النار التي لا تُخمد قد أُعدت وأُشعلت من أجل أولئك الأرواح الشرّيرة الّتي تمتلك ميلاً لا يتغيّر نحو الشرِّ إنَّما يربطكم بهم سلوككم الغير التائب إذ إنَّكم أيضاً كذلك مثلهم.» (أي النَّاس الغير التائبين)، «إنَّ التعايُشَ مع الملائكة الشرّيرة يتمُّ طوعاً» أي باختيار الإنسان الحرِّ.

يُشاهدُ الغني وألعازر الفقير واقعاً موحّداً أي يُشاهدان اللّه في نوره الأزَلي. يتوّصل الغني إلى الحقيقة إلى رؤية المسيح ولكنَّه لا يستطيع أن يشترك بها مثل ألعازر الّذي يُعزّى وأمّا هو فيُعذّب. أمّا بالنسبة لأولئك الّذين هم في العالم فقول السيّد المسيح «عندهم موسى والأنبياء» يعني بأنّنا نحن جميعاً **لا نملك تبريراً** . هكذا هو الأمر لأنَّ القدّيسون الّذين يملكون خبرةً **التأله** هم أمامنا ويدعوننا بأن ندخل في سيرة حياتهم وأن نصل إلى **التأله** كما أنَّ هم أنفسهم فعلوا ذلك.وبالتالي فإنَّ هؤلاء الّذين هم في الجحيم ـ كما هو الحال مع الغني ـ لا تبرير لديهم.

يظهر موقف الإنسان تجاه قريبه الحالة الداخليّة له ولذلك فهو معيار لدينونة المجيء الثاني (متّى الإصحاح ٢٥). لكنَّ هذا لا يعني أنَّهُ سيتمُّ تجاهل إيمان وإخلاص الإنسان للمسيح. لكنَّهما من المُفترض ألا يكونا كذلك لأنَّ موقف الإنسان تجاه الآخر يكشف هل يكون اللّه حاضراً فينا أم لا. إنَّ الموضوع الأساسي للآحاد الأولى من كتاب التريودي موقفنا ومعاملتنا للآخر.

ففي الأحد الأول يبرّر الفريسي نفسه (الّذي هو صالحٌ ظاهرياً) ويُعدُّ نفسه قدّيساً ويمقت العشّار.

أمّا في الأحد الثاني فالابن «الأكبر» (الّذي يُعدُّ تصرُّفه تكراراً لصلاح الفرّيسي المزيّف) ، يحزن بسبب عودة أخيه أي من خلاصه. كونه صالحٌ في الظاهر فإنَّه يملك صلاحاً زائفاً الأمر الّذي لا يستطيع أن يولّد المحبّة.

أمّا في الأحد الثالث (أحد مرفع اللحم) فإنَّ هذا الموقف يظهر لنا كمعيارٍ لحياتنا الأبديّة.

إنَّ السكولاستيين (العقلانيين) الغربيين يفهمون الجحيم كعقاب وحُرمان من المعاينة العقليّة لطبيعة اللّه. لكنَّ في الكتاب المقدّس وفي كتابات الآباء القدّيسين يُمثّل الجحيم **هزيمةً للإنسان ورفضاً منه للمشاركة** في عمل النعمة الإلهيّة لكي يصل إلى الرؤية الإلهيّة «المقدّسة» أي الفردوس وإلى المحبَّة الّتي تُضحّي بنفسها (أنظر ١كورنثوس ١٣:٨ «المحبَّة لا تطلب ما لنفسها »). وبالتالي لا يمكن أن نتحدّث عن غياب بل عن حضور اللّه فقط ولذلك يكون المجيء الثاني مخيفاً أيضاً. (يا **لرعب** تلك الساعة! كما نرتل في كلّ نسمة). إنَّ هذا واقعٌ لا يُدحض والّذي تُوَجِّه إليه الأرثوذكسيّة نظرها باستمرار هو: (« أترجّى قيامة الموتى...»). إنَّ أولئك الّذين سيكونون في الجحيم والّذين قسُّوا قلوبهم كالفرّيسيين (قارن مرقس٣:٥) سيشاهدون (يتأمّلون) النّار كخلاص لهم! هكذا هو الأمر بالنسبة لهم لأنَّ حالتهم لن تتقبّل شكلاً آخَر للخلاص. وهم بذلك «يصبحون كاملين» ويتوّصلون إلى «نهاية» مطافهم أو رحلتهم لكن مع كونهم في الجحيم الّذي هو «خلاصٌ» بالنسبة لهم من بعدما كانوا يركضون وراء الجانب الخيّر والحلو في الحياة مُهملين الجانب المرّ. فقط الأبرار يصبحون كاملين ولكن بعد حصولهم على خلاص حقيقي. كان الغني في المثل «يحتفل بشكل لامع» وكان ألعازر يحتمل « **الشرَّ**» بلا منازعة. يتكلّم عن هذا الأمر القدّيس الرّسول بولس في (١كور ٣: ١٣–١٥): «وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً، إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلَكِنْ كَمَا بِنَارٍ».

الجزء الثاني في العدد القادم

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور

(٩)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

معاني متضمّنة عن أبُوّة اللـّه

إنّ اعترافنا باللّه كأب له بعض المعاني المتضمّنة:

(١) يقول يسوع: مادام اللّه هو أب ، فهو يهتم بنشاط بأولاده. إن اهتماماتهم هي اهتماماته ، حتى الاشياء العاديّة كالملابس والطعام تهمّه. إن المسيح لم يُعَلِّم فقط بهذا الإيمان ولكنه أيضاً عاشه. هل تذكر الوقت الذي كان فيه المسيح نائماً أثناء العاصفة ؟ ما الذي جعله هادئاً حتى استطاع أن ينام أثناء العاصفة ؟ ليس إلا لأنه كان يثق أن هذا البحر هو ملك اللّه ، وأن الأمواج والزوابع والظلمة جميعها في يد اللّه والأذرع الأبديّة من تحت. إن الثقة بأب يهتم بجديّة باهتمامات أولاده هي التي تعطي السلام الداخلي والتوازن والاستقرار بأنه ليس شيء مما في الحياة **يُقلق**.

(٢) يقول يسوع: مادام اللّه أباً ، فهو يعرف ويحب كل فرد بشخصه ، وأنه لا يحب العائلة بجملتها فقط ، بل كل طفل وفرد فيها على الخصوص: «حتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (متى ١٠:٣٠)، «يكون فرحٌ أمام ملائكة اللّه بخاطىء واحد يتوب» (لو١٥ :١٠)، وحتى حينما كانت الجموع تحتشد حول يسوع، كانت النفس الواحدة هي التي تستحوذ اهتمامه ، فمن جميع المطروحين على بركة بيت حسدا ذهب يسوع مباشرة إلى النفس الوحيدة البائسة والتي انتظرت باطلاً لمدّة ٣٨ سنة دون أن تجد شخصاً واحداً يكترث بها (يو٥:٢). وعندما اقترب موكب الدفن الحزين إلى باب مدينة نايين ، لم يتكلم يسوع إلا مع الأرملة التي كانت تبكي وحيدها المفقود (لو٧:١١). كذلك من بين الجَمْع الكبير المحتشد في أريحا ، إختار المسيح شخصاً واحداً ـ زكّا ـ ليكون ضيّفاً عنده (لو١٩:١). لا نعجب إذن عندما نسمع المغبوط أوغسطينوس يقول عن محبّة اللّه: «إنّه يحبّ كلّ واحد منا كما لو لم يكن يوجَد إلا واحداً فقط ليُحَب».

(٣) ومادام اللّه أباً: فإنّه يلزم النظر الى الخطيّة من خلال ضوء جديد. لم تَعد الخطيّة كسراً لوصيّة مجرَّدة ، ولكنها بالأحرى هي كَسر لقلب أبَ ، إنها خطيّة ضدّ حبّه لنا ، إنها كسر لعلاقة بين أب وابن. ولكي يُرَسِّخ يسوع هذا الدرس في أعماقنا ، حَكى لنا قصّة الابن الضّال. لقد بلغ به أن مات على الصليب ليوضّح لنا كم أن الخطية تَكسر قلب اللّه وَتَصلُب محبّته.

(٤) وحيث أن اللّه أب: فإنه يستمر في حبه لنا حتى لو أدرنا ظهورنا له بالخطية وعدم الطاعة. تحكي قصة عن ابنٍ مُخزٍ لعائلته أنه ذات ليلة انسَلَّ الأب وهو بقلب كسير إلى حجرة نوم ابنه ، فوجد الهواء معبَّأً برائحة أدخنة الخمر ، ووجد أُم الفتى راكعة بجوار سريره وهي تلاطف ابنها بشعرها وتُقَبِّل جبينه وتعانقه وتربُت على وجنتيّه وتُقَبِّله ، وكان الأب ينظر دموعها ، فلما أبصرته قالت له: «لم يُعطني ابني فرصة لأُظهر حبّي له وهو مُتَيقِّظ».

هذه صورة من المحبّة التي يحبّنا اللّه بها ، هذه صورة صغيرة عن كيف يحبنا أبونا السماوي: «ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو٥:٨). هل الابن العاصي المتمرّد يستحق أن يموت أحد لأجله ؟ **كانت إجابة اللّه هي يسوع على الصليب يموت لأجل الخطاة**، فبينما كان الابن الضّال بعيداً جداً رآه أبوه فجرى ... ووقع على عنقه وقبَّله. بهذا النمط يحبّ اللّه أولاده وبناته الخطاة ، وبهذه الصورة ينتظر عودتهم.

(٥) وحيث أنّ اللّه أب، فكيف إذن يكون قاضياً ؟ نحن نفكّر عن القاضي في المعتاد أنه مُؤدِّب صارم ، أمَّا بالنسبة للّه كقاضٍ فالأمر يختلف لأنه أب. إن اللّه نوع غريب من القضاة ، حقيقة هو يدينا ، ولكنه في الأوَّل هو أب ، ويحكم ويقضي كما يحكم الأب ويقضي.

(٦) وبما أن اللّه أب ،فيجب أن يُنظَر إلى الموت من خلال ضوء جديد. إن كان لنا أب فسيكون لنا طبعاً منْزِلٌ ، منْزِلٌ أبديٌّ. إن كان لنا أب ، فلن تكون نهاية الإنسان حفرة في الأرض ولكن منْزِلاً في السماء. عندما نقول: «أومن بإله واحد آب ضابط الكلّ» ، فنحن إنَّما نتكلم عن أب ينتظرنا أن نعود إلى المنْزِل إليه ، وساعة موتنا يمكننا أن نقول لمن حولنا: «أنا أمضي إلى أبي» (يو١٦:١٠). وعندما نأخذ نَفَسَنا الأخير نستطيع أن نقول مع يسوع: «يا أبي، في يديك أستودع روحي» (لو٢٣:٤٦). إن كان اللّه أبانا، فالموت هو طريقنا إلى المنْزِل.

(٧) وحيث إن اللّه أب ، فيجب أن نُعدّ وأن نُعَوِّد أنفسنا على الثقة به حتى عندما لا نفهم بعض الأمور التي تحدث لنا. يجب أن نثق فيه لأننا نعرف أنه أبونا. يمكننا أن نثق فيه لأننا رأينا حبه على الصليب. لذلك، حتى في الآلام نحن نثق أن الحياة تعمل على تحقيق هدفه لأجلنا. لن يمكن أبداً أن نعي تماماً طرق اللّه أكثر من شخص يمشي بخطى قصيرة قلقة ، ووالده جرّاح ، ولكنه يفهم لماذا يُخدِّر أبوه المرضى ليفقدوا الإحساس ، ويضعهم على منضدة الجراحة ويُعالج أوجاعهم بالمشرط. قد لا نقدر أن نفهم طرق الربّ تماماً، ولكن لأننا نعلم أنه أبونا ، يمكننا أن نثق فيه تماماً.

(٨) بما أن اللّه أبونا، فنحن جميعاً متّصلين ببعض. أيّاً كان لوننا أسود أصفر أحمر ، فنحن جميعاً إخوة أو أخوات، أولاد لنفس الإله الأب.

حدَثَ أن رئيساً هندياً هَرماً كان يسمع مبشِّراً يعظ عن أُبوَّة اللّه ، وبعد العظة سأل الرئيسُ الواعظ: «هل ما أسمعه صحيحٌ أن اللّه "أبونا"؟». أجابه الواعظ: «نَعم». فسأله: «وهل هو أبي أيضاً؟». فأجابه «نعم». وعندئذ أضاء وجه الرئيس بشعاع بَهج وديع وقال كما لو كان شخصاً قد اكتشف شيئاً جديداً: «إذَنْ أنتَ وأنا إخوة!».

يلزم لبعض منّا الذين يَدْعون اللّه «أبانا» أن يصلوا إلى هذا الاكتشاف . نحن نريد **أُبـوَّة** دون **أُخـوَّة**. نحن نريد أن نكون أولاداً للّه دون أن نكون إخوة لأبنائه الآخرين. إذا كان هذا حقّاً ما نريده ، فيجب أن نَكُفَّ عن أن ندعو اللّه «أبانا». ليس لأحد الحقّ في استخدام كلمات يسوع «أبانا» إن لم يكن مستعدّاً أن يعامل جميع الناس في كل مكان كأعضاء لنفس العائلة ويقول عنهم: «هذا الرجُل مثلي اللّه أبوه ، وهو أيضاً ابنٌ للّه».

هل اللّه حقيقي أم تصوُّري ؟

ظنَّ سيجموند فرويد Sigmund Freud أن اللّه الآب هو مجرَّد صورة اخترعها الإنسان ليُشبِع احتياجه الشديد إلى شخص يرنو إليه ويعتمد عليه ، وقال: حيث إنه يوجد آباء بشريين عديدين ليسوا جيِّدين ولا يمكن الاعتماد عليهم ، لذلك فقد خلق الإنسان أباً أعلى أو أكثر تفوُّقاً ليُشبِع رغبات نفسه المُلحَّة. وبكلمات أخرى ، فإن اللّه الآب لا يوجَد إلاّ في أفكار أولئك الذين أوجدوه لأنفسهم.

حسناً إن كان كلام فرويد صحيحاً ، فنحن نكون جميعاً يتامى في هذا العالَم ، عاجزين وضحايا لآلاف الميتات ، مصروعين لأقدار لا نفهمها. وإن كان هذا صحيحاً ، فإن أولاد **فرويد** الروحيين ، أي الأطباء النفسانيين سوف يكونون مشغولين جداً ، وبدقَّة ، ما دام بعض الناس قف فقدوا إيمانهم باللّه الآب ، فإنهم لن يجدوا معنىً للحياة. حقّاً إن **فرويد** على صواب ، فالإنسان يحتاج فعلاً إلى أب فائق ، إلى شخص ما يحبّه ويهتم بالتفاصيل الآنهائيّة لحياته ، شخص يمكننا أن نَثق فيه ، شخص يمكننا أن نعود إليه عند وقت الحاجة ، شخص يدين ويحكم ، لكن يدين ويحكم كما يحكم الأب ويقضي ، شخص في أُبوَّته الشاملة نكون مرتبطين به كبنين وبنات. نحن نحتاج إلى هذا الأب ، بل ونحن له ، إننا لم نخترعه ، ولكن الرب يسوع أعلنه لنا ، وعلَّمنا أن نخاطبه بعاطفة شديدة: «**يا أبا الآب**».

فإذا نظرنا إلى العالم حولنا نتساءل: «مَن هناك؟» ، نجد الملحدون يقولون: «لا أحد» ، ويقول اللاأدريون: «لا نعلم» ، ويقول المؤمنون بالربوبيّة دون الإيمان بالأديان Deist : «حاكم بعيد جداً لا يكترث بنا فيما بعد» ، ويقول فرويد: «أب فائق تصوّري» ، أما يسوع الإله والذي يعرف جيّداً يقول: «أبانا» ، أب: «هكذا أحبّ اللّه العالم حتى بذَلَ ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يُؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبديَّة» (يو٣:١٦).

عودة الابن الضال

إنّ اللّه الآب ، لعظيم محبّته من أجل خلاصنا، أرسل إبنه الوحيد ليفتدي البشرية الساقطة من خلال آلامه الطوعيّة ، فما زال ربّنا يسوع المسيح ، يطلب عودة الخاطىء إليه بتوبة صادقة، مقدّماً له العفو والغفران والمصالحة ، ليلبسه حلل المجد ، ويسكنه في فردوس النعيم.

والشاعر يضع بعض الأبيات على لسان الباري عزّ وجلّ فيقول:

فَكَمْ لَبَّيْتُ عَبْدِي إِذْ دَعَانِي ... وَرَاعَيْتُ الْوَدَادَ وَمَا رَعَانِي

أَنَا الْمُرخِي السُّتُورِ عَلَى المَعَاصِي ... عَلَى العَبْدِ الجَسُورِ إِذَا عَصَانِي

وَأَصفَحُ لِلأَثِيمِ إِذَا أَتَانِي ... وَعَاتَبَ نَفْسَهُ عَمَّا جَفَانِي

وَإِنْ نَادَانِي الخَاطِي بِصِدقٍ ... وَإِخْلاصٍ حَوَى كُلَّ المَعَانِي

فَمَن يَأتِي إِلَيَّ يَنَالُ عِزّاً ... وَيَحظَى بِالمَسَرَّةِ وَالأَمَانِي

فنُخسَ قلب الإبن الضّال لهذه الكلمات الخلاصيّة ولهذه المناجاة الإلهيّة ، فعادَ سريعاً إلى بيت أبيه السماوي ، والدموع تترقرق على وجنتيه ، وقلبه يحن بشوق لكي يعانق أبيه السماوي ، فعاد والفرح يملء قلبه قائلاً: أعتبر كلّ شيء نفاية حتى أربح المسيح ربي وإلهي.

والشاعر يضع بعض الأبيات على لسان التائب فيقول:

وَكان قلبي خالياً قبل حُبِّكُم
وكانَ بذكر الخَلقِ يلهو ويمرَحُ

فلما دعا قلبي هـواكَ أجـابَه
فَلَسـتُ أراهُ عن فِنـانِكَ يَبْرَحُ

رُميتُ ببيّنٍ منك إن كنتُ كاذباً
إذا كنتُ في الدّنيا بغيرِكَ أَفرَحُ

وإن كانَ شَيءٌ في البلاد بأسرها
إذا غبتَ عن عيني بعيني يَلمَحُ

فإن شئتَ واصلني وإن شئتَ لا تَصل
فَلَستُ أرى قلبي لِغَيْرِكَ يَصلحُ

النبي الهارب والشعب التائب

للقديس كيرللس الأسكندري

لماذا أُرسِلَ يونان إلى شعب وثني في نينوى ؟

وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ قَائِلاً: قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي. يونان (يونان١:١-٢).

ينبغي أن تُلاحظوا من خدمة ورسالة نبوَّة يونان مبدءاً هاماً بأسلوب الطوباوي بولس الذي قال:«أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا ؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ بِالإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بِالإِيمَانِ» (رومية ٣:٢٩-٣٠).

وإذ نتعلَّم ذلك بالاختبار فإنَّ الرسول بطرس أيضاً يُعلن ذلك بقوله:«بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ». (أعمال الرسل ١٠:٣٤-٣٥).

فإنَّ اللّه هو الذي خلق الإنسان في البدء على صورته ليكون مُكرَّساً للفضيلة، لكي يعيش حياة قداسة مُباركة جديرة بالثناء، ولكي يتمتَّع بنصيب وافر من عطايا اللّه ، ولكن البشر ضلُّوا في الخطية، إذ **أغوتهم خداعات الشيطان**، وبالتالي فقد أصبحوا ملعونين وخاضعين للفساد. وكان المسيح قد دبَّر ـ إذ عَلِمَ بذلك قبل تأسيس العالم ـ أن يُصحِّح كل شيء. «لقد سُرَّ اللّه الآب أن يَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي المسيح، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ». (أف ١: ١٠)، أَمَرَ اللّه يونان أن يذهب إلى نينوى التي كانت مدينة فارسية، وكانت كما قال إرميا النبي: «أَرْضُ مَنْحُوتَاتٍ هِيَ». (إر٥٠: ٣٨). وكانت على حدود بلاد اليهود وقد استسلمت لعبادة الأصنام.

فلماذا ترك اللّه المدن القريبة وأرسل يونان إلى تلك المدينة الوثنية التي كانت كما قال ناحوم النبي: «الزَّانِيَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمَالِ صَاحِبَةِ السِّحْرِ الْبَائِعَةِ أُمَمًا بِزِنَاهَا». (ناحوم٣:٤)! أرى أنَّ اللّه كان له قصد نافع في أن يُبرهن حتى للمتغرِّبين عنه أنه يمكنهم أن يُجتذَبوا، في الوقت المناسب، إلى معرفة الحق حتى ولو كانوا غارقين في عنادهم قوة تأثير كلمة اللّه وكما ترون، فإنَّ كلمة اللّه قادرة على حثِّ الناس أن يتعلَّموا ما يجعلهم حكماء. وكما قال الرب لإرميا النبي: «هأَنَذَا جَاعِلٌ كَلاَمِي فِي فَمِكَ نَارًا، وَهذَا الشَّعْبَ حَطَبًا، فَتَأْكُلُهُمْ».(إرميا ٥:١٤)، وأيضاً: «أَلَيْسَتْ هكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمِطْرَقَةٍ تُحَطِّمُ الصَّخْرَ ؟» (إرميا٢٣:٢٩). وهكذا فلم يكن بدون هدف أن يُرسَل يونان إلى أهل نينوى، بل إنَّ ذلك حدث لكي يكون كبشير لرأفة اللّه المتأصِّلة فيه، والتي يمكن أن تُمنَح حتى للشعب الذي ضلَّ بجهالته وفي نفس الوقت، فقد كانت في هذا القول من فم إرميا النبي **إدانة لشعب إسرائيل**، لأنهم كانوا مُدانين بكونهم متمردين غير مستجيبين لناموس اللّه وغير مُبالين به. ومع ذلك **فإنَّ أهل نينوى رجعوا فوراً إلى الشعور بالالتزام بالتوبة بإنذار واحد للنبي**، رغم أنَّ هذا الشعب كان يعيش في خداع الوثنيةً؛ في حين أنَّ شعب إسرائيل استخفَّ بموسى والأنبياء، ثم قاوم المسيح مخلِّصنا، رغم أنه أيَّد تعاليمه بالمعجزات، حيث كان يجب أن يقتنعوا بسهولة أنه هو اللّه الذي صار إنساناً ليُخلِّص الجميع وهم قَبْل الجميع. ولذلك قال عنهم الرب: «رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الجيل وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُهُنَا!» (متى١٢:٤١). وما هو الأمر الأعظم في المسيح من يونان؟ ففي حين أنَّ الرب هدَّد أهل نينوى بأن تنقلب مدينتهم، فإنَّ الرب يسوع أدهش اليهود بعجائبه التي تفوق الوصف، والمعجزة التي ترافق الرسالة هي دائماً وسيلة لتوصيل الناس إلى الإيمان.

لماذا هرب يونان؟ ولماذا إلى ترشيش؟

هرب يونان إلى ترشيش من وجه الرب. (وترشيش هي التي تُدعَى في أيام القديس كيرلّس تارسي في كيليكية. كما يُرجِّح البعض أنها هي طرسوس موطن شاول الطرسوسي ـ بولس الرسول). ولكن لماذا هرب إلى ترشيش؟ ربما لأنه كانت لديه فكرة أنَّ قوة اللّه كانت قاصرة على أرض إسرائيل، ولذلك فقد غادر اليهودية إلى إحدى المدن اليونانية ، ويمكننا أن نتعرَّف على نفور يونان من تلك الإرسالية وعدم تحمُّسه لها من خوفه من عدم تحقيق اللّه لإنذاره بمعاقبة أهل نينوى، وذلك من كلامه هو إذ قال:«آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي. (يونان٤:٢-٣) ، ولكن الرب أرسل ريحاً شديدة على البحر حتى صارت السفينة في خطر، وارتعب الملاَّحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه، وطرحوا الأمتعة في البحر لتخفَّ الحمولة عن السفينة. أمَّا يونان فقد نزل إلى جوف السفينة ونام نوماً ثقيلاً.«فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ نَائِمًا ؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى

إلهكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الإِلهُ فينَا فَلاَ نَهْلِكَ.» (يونان١:٦).
وإن كان يبدو أنه نام هكذا قبل هبوب العاصفة، إلاَّ أنَّ ذلك دلَّ على عدم مبالاته بإرساليته، وأنَّ اهتمامه انحصر في ذاته، ولكنه لم يتجاهل واجبه.

اعتراف يونان بخطيئته :

ولما ألقى الملاَّحون قرعتهم لمعرفة بسبب مَن هذه البلية... وقعت القرعة على يونان، «وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلُمَّ نُلْقِي قُرَعًا لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْبَلِيَّةُ. فَأَلْقَوْا قُرَعًا، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ.» (يونان١:٧). وكان ذلك جزءاً من خطة اللّه، إذ اكتشفوا الشخص الذي ظنَّ أنه يمكنه أن يهرب من حضرة اللّه. ولما سألوه عن أمره، اعترف أنه هاربٌ من وجه الرب. فسألوه عمَّا يفعلونه به ليسكن البحر الذي كان يزداد اضطراباً، فاعترف بخطيئته فَقَالَ لَهُمْ: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لأَنَّنِي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ.» (يونان١:١٢). «ولكنهم جَذَفُوا لِيَرْجِعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ». (يونان١:١٣) لأنهم أرادوا أن ينقذوا خادمَ اللّه ويأتوا به سالماً إلى الشاطئ، «ولكنهم لَمْ يَسْتَطِيعُوا، لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا عَلَيْهِمْ.» (يونان١:١٣). ثم «صرخوا إلى الرب وقالوا: آهِ يَا رَبُّ، لاَ نَهْلِكْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ هذَا الرَّجُلِ، وَلاَ تَجْعَلْ عَلَيْنَا دَمًا بَرِيئًا، لأَنَّكَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ كَمَا شِئْتَ. ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هَيَجَانِهِ.» (يونان١:١٤-١٥).

ولماذا سألوه عن موطنه الأصلي؟ لأنهم أرادوا، حسب رأيي، أن يعرفوا مَن هو الإله الذي أغضبه. فلما قال لهم إنه عبراني وإنه خائفٌ من إله السماء، تحقَّقوا من أنه هرب من وجه اللّه، لماذا؟ ذلك لأنَّ اليهود غير مسموح لهم أن يتركوا بلادهم المُخصَّصة لهم ويدخلوا مدناً وثنية... ولما هدأ البحر بمجرد أن طرحوا يونان فيه، يقول الكتاب: «فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفًا عَظِيمًا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نُذُورًا.» (يونان١:١٦). وهكذا انتفعوا من هذا الحدث بكونهم آمنوا أنه يوجد في الكون **إله واحد** وقدَّموا له ذبيحتهم .

كيف عاش يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام؟

«وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ.» (يونان١:١٧).
ونحن لا ندَّعي أنَّ اللّه يأمر الحيوانات كما يفعل معنا أو مع الملائكة. فإذا قيل إنه يأمر الحيوانات أو العناصر، فهذا يُشير إلى مشيئته كقانون وأمر، فنحن نرى أنَّ كل شيء يخضع لإرادته. وبالتالي فإنَّ إرادته الصالحة التي جعلت الحوت يبتلع يونان لم تُسبِّب ضرراً للنبي، حيث إنه «ظلَّ في جَوْفِ الحوت ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.» (يونان١:١٧)، هذه الحقيقة ربما بَدَت غير مُقنعة للبعض حتى أنهم لا يُصدِّقون أنه مكث حيّاً ثلاثة أيام في جوف الحوت، وكيف أن جسده لم يتحطَّم عند ابتلاعه؟ وكيف أمكنه أن يتحمل حرارة جسم الحوت ورطوبة أحشائه الشديدة؟ وكيف أنَّ الحوت لم يهضمه كبقية الأطعمة؟ ونجيب على ذلك بأنَّ القوة الإلهية يمكنها أن تُغيِّر طبيعة الكائنات الحية بسهولة إلى أيَّة حالة يختارها اللّه. ونحن نعلم أن الجنين في رَحم أُمِّه يكون غاطساً في رطوبة طبيعية وكأنه مدفون في أحشاء أُمِّه، ولا يمكنه أن يتنفس، ولكنه يظل حيّاً ويتغذَّى بطريقة دبَّرها اللّه.

إن تدابير اللّه لا يمكن أن يُدركها أحد بسهولة وإذا اتخذنا يونان النبي كنموذج للخدمة التي تُدرَك في المسيح، فيمكن القول إنَّ العالم كله، منذ آدم، كان مُعرَّضاً للخطر، وإنَّ الجنس البشري كان متأثِّراً بعواصف وأمواج الخطية الهائجة، والمسرَّات الكئيبة التي لا تُطاق كانت تغمر البشر؛ إذ كان الجنس البشري مُهدَّداً بالفساد وتضربه رياح عنيفة، **أي الشيطان وقُوَى الشر الخاضعة له والتي تعمل معه**. فأشفق علينا الخالق وأرسل ابنه لكي يُهدِّئ العاصفة، وهكذا **خلَّصنا بموت المسيح**. وإذ هدأت العاصفة واستقرَّت الأمواج ساد السلام وتمتَّعنا بجوٍّ روحي صاف منذ أن **تألَّم المسيح من أجلنا**. وذلك كما أنَّ رُسل المسيح عندما صدمتهم الرياح العاتية والأمواج، أيقظوا الرب يسوع لكي ينقذهم؛ فقام وانتهر البحر وأنقذهم. وهكذا حدث مع الجنس البشري، فإننا بالمسيح قد تحرَّرنا من الموت والفساد والخطية والأهواء البشرية، وامتلأت حياتنا بالسلام «دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي.» (يونان٢:٢)، عاش يونان في جوف الحوت كمنزل له، ودون أن يشعر بأيِّ نوع من المؤثِّرات الرديئة على الجسد أو الذهن، شعر بمعونة إلهية إذ عَلِمَ أن اللّه خيِّر. ومن الناحية الأخرى، فإذ لم يكن على دراية بأنَّ ما حدث كان نتيجةً لنفوره من خدمته؛ فقد اتجه إلى الصلاة ناطقاً بمشاعر الشكر معترفاً بمجد اللّه مخلِّصه. وقوله إنَّ الرب استجاب له فقد تحقَّق من ذلك مُسْبقاً، في رأيي، بروح نبوية. وقوله: «صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ.» (يونان٢:٢)، الذي كان يقصد به معدة الحوت، فقد قارَنَ هذا الوحش بالجحيم والموت، إذ عرف كيف يقتل ضحيته ويلتهمها بوحشية «طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ، فَأَحَاطَ بِي نَهْرٌ. جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ.» (يونان٢:٣-٤). إنه يُرجع هذا الحدث إلى نعمة من فوق، وينسب إلى الأحكام الإلهية إمكانية الإنقاذ بسهولة من كل ضيقة. ويقول إنه كان في عمق البحر وفي صخب المياه التي تجيش وتُغرقه كأمواج غامرة، وقد أدرك في تلك المحنة أنه كان يُعاني من الغضب الإلهي، وأنه قد صار يائساً من إنقاذه، وهذا شعورٌ مُرعب. ثم قال: «هل حقّاً لن أعود وأنظر إلى هيكل قدسك؟» (يونان٢:٤ سبعينية...) «وَلكِنَّنِي أَعُودُ أَنْظُرُ إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ.» (يونان٢:٤). لقد كان على دراية أنه قد حُفظ بقوة اللّه الذي أعانه على الحياة في جوف الوحش مما يفوق التصديق. وربما كان يشكُّ إن كان الوحش سيقذف به إلى ضوء النهار مرة أخرى. ومن الناحية الأخرى، فقد اعتبر أنَّ رجوعه إلى هيكل اللّه لكي يُمجِّد ذاك الذي أنقذه أمراً شهياً ويحتاج إلى صلاة لكي يحصل على تلك النعمة «قَدِ اكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ. أَحَاطَ بِي غَمْرٌ. الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ (أو الحلفاء) بِرَأْسِي. نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ (هبطت رأسي إلى شقوق الجبال ـ سبعينية). مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ (هبطتُ إلى عمق الأرض التي قضبانها هي

القديس كيرللس الأسكندري

المغاليق الأبدية ـ سبعينية). ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي (لكنك أيها الرب إلهي سترفع حياتي من الهاوية ـ حسب الترجمة العربية المشتركة؛ أو دَع حياتي المُحطَّمة تتجدَّد ـ سبعينية. يونان٢:٥-٦) ، إذ شعر يونان أنَّ الرب أنقذه حتى الآن، فكان ينوي أن يُقدِّم له أروع أناشيد الشكر.

وحسب رأيي، فإنَّ كلمة المغاليق أو القضبان تعني أنها غير قابلة للكسر فلا يتغلَّب عليها أحد. وكونه لم يَمُت ولم يتألم من أيِّ شيء يتعلَّق بالموت أو الفساد، فقد ترجَّى، بشعوره النبوي، أن يُنقذه اللّه بإخراجه من جوف الحوت كما من الهاوية. ثم قال: «حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ، فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلاَتِي إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ» (أو لعل صلاتي تأتي إليك إلى هيكلك المقدس ـ سبعينية). (يونان ٢:٧)، إنَّ الضيقات ليست بلا منفعة للذين يُجرَّبون بها، ولذلك قال بولس الرسول: «الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً، وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي.» (رومية٥:٣-٥).

فلما تعرَّضت حياة يونان للخطر وبلغت ضيقته إلى أقصاها، التجأ إلى شيء نافع له وليس مثل الذين يُفسحون المجال لليأس ؛ بل ذَكَر ذاك الذي يُنقذ. فصرخ إليه عالياً ، إذ كان على دراية بقدرته «اَلَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ. أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ (والاعتراف) أَذْبَحُ لَكَ، وَأُوفِي بِمَا نَذَرْتُهُ. لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ (أوفي بما نذرته لك أيها الرب خلاصي ـ سبعينية) ،(يونان٢:٨-٩). أي أنَّ الذين يُقدِّمون ولاءهم للآلهة الكاذبة ينبذون الرحمة التي كان ينبغي أن يطلبوها من الرب. أما أنا فأعلم أنك طيِّبٌ ورؤوف، ولذلك فإنني أعترف لك وأُقدِّم لك تسابيح مثل بخور عَطِر، أي ذبائح شُكر روحية. وأوفي لك نذور خلاصي بكل غَيرة، أي تلك التي سبَّبت إنقاذي وكانت نافعة لحياتي. وهذا كان استجابةً للخدمة النبوية التي يريدها اللّه حيث زال كل نفور وجُبن.

ولعل ذلك كان رمزاً للمسيح الذي في ضيقه قال للآب: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ.» (متى ٢٦:٣٩). وهنا نتذكَّر قول الرسول بطرس مُستشهداً بما قاله داود النبي:«لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا.» (أعمال الرسل٢:٢٧). وهكذا فإنَّ جسد يونان أيضاً لم يَرَ فساداً، وبعد ثلاثة أيام رجع إلى الحياة؛ تماماً كما أنه كان يستحيل أن يخضع الرب، الذي هو الحياة بطبيعته، **لقيود الموت** «وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرِّ.» (يونان٢:١٠). وهكذا تلقَّى الحوت الأمر مرةً أخرى بقوة إلهية لا توصف لتنفيذ إرادة اللّه، فحرَّر من أحشائه النبي الذي انتفع من المحنة، أو بالحري تشجَّع بتلك الخبرة **واكتسب معرفةً صافيةً بأنه من المخاطرة أن يُقاوِم الأحكام الإلهية.**

الجزء الثاني والأخير في العدد القادم

كان احتفال مهيب يوم فرح ابن أحد الأمراء الفرنسيين على «ماريان» ابنة الكونت فيليب. وفضل العروسان بعد خروجهما من الكنيسة أن يسير الموكب على الأقدام حيث أنه وقت الربيع والزهور الجميلة تملأ الشوارع.

وفي غمرة سعادة العروسين، لمحت «ماريان» آخر يسير في الاتجاه المضاد... شاب يبدو عليه إمارات الفقر والبؤس والحزن... يبكي بحرقة وهو يسير وراء نعش لا يوجد عليه زهرة واحدة حسب عادات أهل البلدة... وأراد منظمي موكب العروسين أن يرجع موكب الجنازة ويفسح الطريق للعروسين... فإذا «ماريان» تلمح عيني الرجل الحزين والدموع تنهمر بحرقة منهما... **فما كان منها إلا أن خلعت زهرة جميلة من إكليلها الباهظ الثمن** ووضعته بلطف على النعش... وأمرت الموكب أن يفسح الطريق للموكب الحزين حتى يصل إلى الكنيسة... فتأثر الرجل وانخرط في البكاء.

وبعد مرور عشرين عاما، **اندلعت الثورة الفرنسية**... وبدأ الحاكم الجديد ينتقم من الأمراء والنبلاء...

وأصدر أمرا بإبادة ذوي المكانة من النبلاء، وأراد أن يتشفى بمنظرهم... لذلك جلس على منصة كبيرة وكان يقف أمامه كل من كان تهمته إنه ينتمي لهذه الطبقة الغنية... وقف أمامه شاب وأخته وأمهما .

وكان الشاب ثائرا وحاول أن يدافع عن أهله لأنه لا يوجد عليهم أي تهمة، ولكن الحاكم أمر بإعدام الثلاثة في الساعة التاسعة مساءا فاقتادهم الحارس للسجن، وفي الثامنة مساءا، ذهب ليقتادهم للإعدام، ولكنه سلم السيدة خطابا، وطلب منها ألا تفتحه إلا بعد الساعة التاسعة، فاندهشت السيدة جدّا، فهذا هو موعد تنفيذ الحكم، ولكنه سار بهم إلى طريق يصل إلى مركب تبحر إلى إنجلترا، وأركبهم المركب دون أن ينطق بكلمة، وأمر البحّار أن يبحر وسط ذهولهم، وكانت الساعة قد وصلت التاسعة، ففتحت السيدة الخطاب وهي لا تفهم شيئا، فوجدت مكتوب فيه:«منذ عشرين سنة، في يوم زواجك، وضعت زهرة جميلة من إكليلك على نعش شقيقتي الوحيدة، ولا يمكنني أن أنسى هذه الزهرة ما حييتُ، لذلك أنقذتك من الموت، أنت وابنك وابنتك، فهذا دينٌ عليَّ».

زهرة أنقذت ثلاث أنفس من الموت...

حقا يا عزيزي إن كان هذا الرجل لم ينس عمل محبة صغير تم منذ عشرين سنة وقدم لمن عملت معه هذا العمل مكافأة أعظم بكثير.

فهل ينسى اللّه ما تقدمه لأجله... من تضحية وخدمة وصوم وحمل الصليب...

فلا يكافئك عنها !

إن كلمة مشجعة تقولها لإنسان بائس ....ابتسامة لإنسان حزين... عطية صغيرة لإنسان محتاج... تترك أعظم الأثر في هذه النفوس...

«لان اللّه ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي اظهرتموها نحو اسمه» (عب٦:١٠).

حِكَمٌ لها وَقعٌ وفيها تَوقير مرشِدَةٌ لنا زَمَنَ الصَّوْمِ الكَبِير

في التعليم والإرشاد

قال بعض الحكماء لإبنه: يا بُنَيَّ تعلَّم حُسنَ الإستماع كما تتعلَّم حُسنَ الحديث. وليَعلَم النَّاسُ أنَّكَ أحرَصُ على أنْ تسمَعَ منْكَ على أنْ تقولَ. فاحذَر أنَ تُسرعَ في القول فيما يَجب عليه الرُّجوعُ بالفعل. حتى يعلم النّاس أنّكَ على فعلِ ما لمْ تَقُل أقربَ منْكَ إلى قولِ مَا لَمْ تفعَلْ.

قال أرسطوطاليس للإسكندر: إنَّ النّاسَ إذا قدَرُوا أن يَقولوا قَدروا أن يفعلوا. فاحترِس منْ أن يقولوا. تَسلَم منْ أن يَفعلوا.

وها الشاعر يصف من يرشد غيره معرضاً عن نفسه.

يَا أيُّها الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلاَّ لِنَفسكَ كانَ ذا التعليمُ
تَصِف الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وذي الضَنَى كَيْما يَصِحَّ بِهِ وَأنْتَ سَقيمُ
وَتَراكَ تُصْلِحُ بالرَّشادِ عُقُولَنا أبَداً وَأنْتَ منَ الرَّشادِ عَديمُ
فابدأ بِنَفْسِكَ فانْهَهَا عَنْ غيِّها فإذا انتَهَتْ عَنْهُ فَأنْتَ حَكيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُهتَدَى بالقَولِ منْكَ وَيَنْفَعُ التَّعليمُ
لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتأتي مِثلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظيمُ

في الصمت وحفظ اللسان

سُئِلَ سُولونُ: أيُّ شيءٍ أصعَبُ على الإنسان. قالَ: الإمساكُ عَنِ الكلامِ بما لا يعنيه.

شَتَمَ رجلٌ سَخنيسَ الحكيم فأمسكَ عنهُ. فقيلَ لهُ في ذلك. فقالَ: لا أدخُلُ حَرباً الغالبُ فيها أشَرُّ منَ المغلوب.

قال بعض الحكماء. لا تَبِع هَيّبة السُّكوت بالرَّخيص منَ الكلام.

قالَ أرسطوطاليس: إختصار الكلام طَيُّ المعاني. وقيل لَهُ: ما أحسَنَ مَا حَمَلَهُ الإنسان. قالَ: السُّكُوتُ.

وَمنْ كَلاَمِ الحُكَمَاء: يُستَدَلُّ على عَقل الرَّجُل بقلَّة مَقاله. وعلى فَضْله بكَثْرَة احتمَالِه.

السائل والبخيل

قيلَ إنَّ سَائلاً أتى إلى رجل من أغنياء أصْفَهانَ فسَألَ شَيْئاً للّه. فَسَمعَهُ الرَّجُل فقالَ لعَبده: يَا مُبَارَكُ قُلْ لعَنْبَر: يَقولُ لجوهر وجَوهرٌ يَقُولُ لياقوت وَيَاقوتٌ يَقولُ لإلماس وألماسٌ يَقولُ لفيروز وَفيروزٌ يَقولُ لمُرجان ومُرجانٌ يقولُ لهذا السّائل : يَفْتَحُ اللّهُ عَلَيْكَ. فَسَمعَهُ السَّائل فَرَفَعَ يَدَيْه إلى السَّماء وقالَ: يَا رَبِّ قُلْ لجبرائيلَ يقولُ لميكائيلَ وميكائيلُ يقولُ لدَرْدَائيل ودَردائيلُ يقولُ لكيكائيلَ وكيكائيلُ يقولُ لإسرافيلَ وإسرافيلُ يقولُ لعزرائيلَ أنْ يَزورَ هذا البخيلَ. فَخَجِلَ التَّاجرُ وَمَضى السائلُ لحالِ سَبيله.

قالَ بعض الشعراء يصف بخيلاً:

لا يَخْرُجُ الزِّئْبَقُ منْ كَفِّه وَلَوْ ثَقَبْنَاهَا بِمِسْمَارِ
يُحَاسِبُ الدِّيكَ عَلَى نَقْدِه وَيَطْرُدُ الهِرَّ منَ الدَّارِ
يَكْتُبُ في كُلِّ رَغيفٍ لَهُ يَحْرُسُكَ اللّهُ منَ النَّارِ

نَقْدِه: كم مرّة ينقر بمنقاره حبّ القمح أوغيره.

فضيلة الصبر

قالَ بعض العلماء: الصَّبرُ عشَرَةُ أقسَام. الصَّبرُ عن شَهوة البطن يُسمَّى قَناعةً وَضدُّهُ الشَّرَهُ. والصَّبرُ عن شَهوة الجسَد يُسمَّى عفَّةً وَضدُّهُ الشَّبَقُ. والصبرُ على المعصية يُسمَّى صَبْراً وَضدُّهُ الجَزَعُ. والصَّبْرُ على الغَنَاء يُسمَّى ضَبْطَ النَّفْس وَضدُّهُ البَطَرُ. والصَّبْرُ عندَ القتال يُسمَّى الشَّجاعةَ وَضدُّهُ الجُبْنُ. والصَّبْرُ عنْدَ الغَضَب يُسمَّى حلْماً وَضدُّهُ الحُمْقُ. والصَّبْرُ عنْدَ النَّوائب يُسمَّى سَعَةَ الصَّدر وَضدُّهُ الضَّجَرُ. والصَّبرُ على حفظ السِّرِّ يُسمَّى الكتْمانَ وَضدُّهُ الخَرَقُ. والصَّبْرُ عَنْ فُضُول المَعيشَة يُسمَّى الزُّهْدَ وَضدُّهُ الحرص. والصَّبْرُ عنْدَ تَوَقُّع الأُمور يُسمَّى التُّؤَدَةَ وَضدُّهُ الطَّيْشُ.

وَمِنْ أحسَنِ مَا جَاءَ فِي هذا المعْنَى قَوْلُ بَعضِهم:

بَنَى اللّهُ للأَخْيارِ بَيْتاً سَمَاؤُهُ
هُمُومٌ وأحْزَانٌ وَحيطَانُهُ الضُّرُّ
وَأدْخَلَهُمْ فِيهِ وَأغْلَقَ بَابَهُ
وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمُ الصَّبْرُ

ذلّة الدُّنيا: بدل أنّ ينصبّ فكرنا نحو الحياة الأبديّة نرى كم يتعب الإنسان ويضطرب، يقلق ويهتمّ أكثر مما يجب، والربّ ينبهنا نحو ذلك قائلاً: «هذا الذي أعددته لمن يكون». وهذا ما يلخّصه الشاعر فيقول:

كَدودٌ كَدودِ القَزِّ يَنْسُجُ دائماً وَيَهْلِكُ غَمّاً وَسْطَ مَا هُوَ نَاسِجُهْ

كَدودٌ: يَكدّ، يتعب، ويجتهد.

لمّا رأى الفلاسفةُ **تابوتَ الإسكندر** وقد أُخرجَ ليُدفَنَ قال بعضهم: كان الملكُ أمسِ أهْيَبَ منه اليوم. وهوَ اليومَ أوعَظُ منه أمس. وقالَ آخَر: سكنتْ حركةُ الملك في لَذَّاته. وَقد حرّكنا اليومَ في سكونه جزَعاً لفَقده. **(من الأقوال في المراثي)**

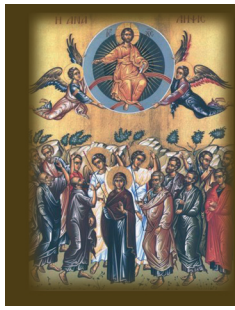

كيف تشهد للرب

« ...وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كلّ اليهوديّة والسامرة وإلى أقصى الأرض »

الجزء الثاني

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

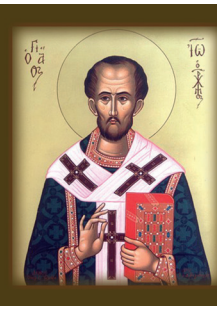

لتدعوا الجميع :

إن ملاحظاتي هذه ليست موجهة إليهم بل بالأكثر إليكم يا من تتقدمون بهم، وتقيمونهم من كسلهم، وتأتون بهم إلى مائدة الخلاص هذه. حقًا إن العبيد عندما يقومون ببعض ا لخدَمْ العامة يستدعون زملاءهم العبيد، أما أنتم فعندما تذهبون لتجتمعوا في الخدمة الروحية تحرمون زملاءكم من بركاتها بسبب إهمالكم .

تقولون: «وماذا نعمل إن كانوا لا يرغبون في المجيء؟»

اجعلوهم يرغبون بلجاجتكم الدائمة، فمتى رأوكم مصرّون على هذا يرغبون هم أيضًا.

إنها مجرد أعذار تقدمونها. فكم من آباء يجلسون ههنا ولا يرافقهم أولادهم؟ هل من الصعب أيضًا أن تأتوا ببعض من أولادكم؟!

ليشجع كل واحد غيره، ويحثه على الحضور. فالأب يشجع ابنه، والابن أباه، والأزواج زوجاتهم، والزوجات أزواجهن، والسيّد عبده، والصديق صديقه، وبالحري ليس فقط أصدقاءه بل وأعداءه أيضًا... داعيًا إياهم لينهموا من الكنز المقدم لخير الجميع. فإن رأى العدو إهتمامك بما هو لخيره فسينزع عنه بغضته لك.

لا تأتي فارغاً:

إنني أقول أن الذين تخلوا عن هذا الاهتمام (بالإخوة) ينالون صفعة في أكثر أجزائهم حيوية، محتملين خسارة أبشع مما تحدث بأي سبب آخر، لأن من يحضرون معهم أحدًا يقتنون ربحًا أعظم مما يقتنى بأي شيء آخر، كما يعلن الكتاب المقدس... «لا يظهروا أمامي فارغين» (خر٢٣:١٥)، بمعنى ألا يدخلوا الهيكل بغير ذبائح. فإن كان لا يجوز دخولنا الهيكل بغير ذبائح، فكم بالحري يليق بنا ألا نأتي ونحن غير مصطحبين إخوتنا، لأن هذه التقدمة أفضل من تلك.

ليتنا نقتدي ببعض المخلوقات غير العاقلة، إذ تصطاد فريسة لمن هو من جنسها، فأي عذر لنا نحن الذي قد كرّمنا بالعقل وبحكمة كهذه إن كنا لا نعمل مثلها؟

لقد نصحتكم في العظة السابقة وقلت لكم: أذهبوا كل واحد إلى بيوت أقربائه، وانتظروهم حتى يخرجوا وامسكوهم واقتادوهم إلى بيت أمهم العام. امتثلوا بالمجانين الذين يقابل كلٌ منهم الآخر مبكرًا لكي يقتاده للمشاهد الشريرة.

وها أنا أكرّر النداء، ولا أكف عنه حتى أجدَّ بكم إلى العمل.

إجذبوهم بالعمل لا بالكلام :

السماع لا يفيد شيئًا ما لم يصحبه التنفيذ، بل يجعل دينونتنا أشد. أسمع ما يقوله السيد المسيح: «لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم» (يو١٥:٢٢) ويقول الرسول «لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند اللّه» (رو٢:١٣). هذا قيل من أجل السامعين، ولكن أراد الرب أن يعلم المعلمين أنهم لا ينتفعون من تعليمهم شيئًا ما لم تنطبق تعاليمهم مع سلوكهم، وكلماتهم مع حياتهم...

إذ يقول النبي «وللشرير قال اللّه مالك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك وأنت قد أبغضت (التعليم) » (مز٤٩ :١٦– ١٧) ، ويقول الرسول«وتثق إنك قائد للعميان ونور للذين في الظلمة ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم والحق في الناموس. فأنت إذًا الذي تعلم غيرك ألست تعلم نفسك؟!» (رو٢:١٩ –٢١)، لهذا ليت شغفنا لا يكون متزايدًا إلى مجرد الاستماع، فإنه بالحق حسن جدًا أن نقضي وقتنا دائمًا في الاستماع للتعالم الإلهية، لكنها لا تفيدنا شيئًا إن لم ترتبط بالرغبة في الانتفاع منها. من أجل هذا لا تجتمعوا هنا باطلاً. بل لا أكف عن أن أتوسل إليكم بكل غيرة كما كنت أفعل من قبل قائلاً: «تعالوا بإخوتكم إلى هنا. أرشدوا إلى هنا. أرشدوا الضالين. علموهم بالعمل لا بالكلام فقط». هذا هو التعليم ذو السلطان، الذي يأتي خلال سلوكنا وأعمالنا. فإنك وإن كنتَ لا تنطق بكلمة، لكنك بعد ما تخرج من هنا تعلن للبشر الذين تخلفوا عن الربح الذي اقتنيته ههنا وذلك بواسطة طلعتك ونظراتك وصوتك وكل تصرفاتك. وهذا كاف للإرشاد والنصح.

يلزمنا أن نخرج من هذا الموضع كما يليق بمكان مقدس، كأناس نازلين من السماء عينيها، وقورين وحكماء، ناطقين وصانعين كل شيء بلياقة. فعندما ترى الزوجة رجلها آتيًا من الاجتماع، والأب ابنه، والصديق صديقه، والعدو عدوه ، يرون فيهم أثار البركات التي تمتعوا بها. فيدركون إنكم قد صرتم ودعاء وأكثر حكمة وإتزانًا. تأملوا أي امتيازات تتمتعون بها خلال الأسرار المقدسة؟! علموا الذين «هم من خارج» أنكم في صحبة طغمة السارافيم، محسوبين مع السمائيين، معدين في صفوف الملائكة، حيث تتحدثون مع الرب وتكونون في صحبة السيد المسيح. فإن تهيأت نفوسكم هكذا، فلا حاجة إلى ما ننطق به مع من تخلّفوا عن الحضور، لأنهم يرون ما نلناه، ويلمسون خسارتهم، فيسرعون للحضور ليتمتعوا مثلنا. إنهم يحثون بجمال نفوسكم المتلألئة، تلتهب قلوبهم بمظهرنا الصالح مهما كانوا أغبياء، لأنه إن كان جمال الجسد يغري ناظره، فكم بالحري يهز جمال النفس وتناسقها ناظرها، وتجذبه لتكون له نفس الغيرة؟! إذًا فلنزين إنساننا الداخلي، ولنفكر فيما يقال ههنا عندما نخرج... لأنه إن كان المصارع يصارع حسبما تدرب عليه في مدارس المصارعة، إلا أننا نحن في تعاملنا مع العالم لم نستخدم ما نسمعه ههنا!! اجذبوهم بالحب تذكروا ما يقال لكم، حتى عندما تخرجون ويلقى الشيطان يديه عليكم عن طريق الغضب أو المجد الباطل أو أي شهوة أخرى، فإنه بتذكركم ما تعلمتموه هنا تقدرون أن تفلتوا من قبضته الشريرة بسهولة.

ألا ترون كيف أن المتمرنين حسنًا، بعد ممارستهم المصارعة زمنًا طويلاً وقد أعفوا منها بسبب كبر سنهم، يجلسون خارج الحلبة وينادون من يعلمونهم قائلين هكذا «أمسك يده، أسحب رجله، أضغط على ظهره، وما إلى غير ذلك من التوجيهات»...

أليسوا بهذا يقدمون خدمة عظيمة لتلاميذهم؟! وأنتم أيضًا تطلعوا إلى مدربكم ـ بولس الطوباوي ـ الذي بعدما نال نصرات كثيرة، يجلس خارج الحدود ـ أي هذه الحياة الزمنية ـ ويصرخ إلينا برسائله. فإذ يرانا في غضب أو مستائين مما يلحقنا من الأضرار يقول: «فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فأسقيه» (رو١٢: ٢٠).

وصية جميلة خاصة بالحكمة الروحية، نافعة لمنفذها وللمستفيدين بها!

لكن بقية النص يثير حيرة عظيمة ويبدو كأنه غير متفق مع نية ناطق الكلمات السابقة... إذ يقول: «لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه».بهذه الكلمات الأخيرة يصيب الفاعل والمستفيد شرًا. الأخير لأنه توضع على رأسه جمر نار .. فما المنفعة له من الطعام والشراب إن كان يجمع على رأسه جمر نار؟!.. أما مقدم المنفعة فهو أيضًا يصيبه ضررًا بطريق آخر، لأنه أي فائدة يجتنيها من صنعه الخير لعدوه إن فعل هذا بقصد جمع جمر نار على رأسه؟! إذ لا يكون بهذا رحومًا ومترفقًا بل قاسيًا ومتوحشًا. فما هو الحل؟ لقد كان هذا الرجل العظيم والحكيم (بولس) عالمًا تمامًا بهذه الحقيقة، وهي إن مصالحة العدو بسرعة أمر خطير وصعب، لا بحسب الطبيعة إنما بسبب تراخي الإنسان. وهو لا يأمرنا فقط أن نصطلح على عدونا بل وأن نُطعه أيضًا، الأمر الأكثر صعوبة لأنه إن كان البعض لا يقدر حتى على معاينة من يضايقونهم، فكيف يرغبون في تقديم الطعام لهم وهم جائعون؟!

ولماذا أقول أن النظر إليهم يثيرهم، بل مجرد ذكر اسمهم يعيد إلى ذاكرتهم جراحتها ويلهب نيران حنقهم. لقد كان بولس عالمًا بهذا، وهو يريد إنّ ما كان قاسياً وصعبًا يصير سهلاً وبسيطًا. فهو يريد أن يقنع من لا يحتمل معاينة عدوه أن يقدم له خيرًا، لذلك أضاف قوله «يجمع جمر نار»، حتى يُسرع محبّ الانتقام إلى صنع الخير لعدوه. كما أن الصياد يحيط الصنارة بطُعم من كل جانب، فتسرع سمكة لتأكل منه كعادتها (في أكل السمك الصغير) للحال يأسرها الصياد ويمسكها بسهولة، هكذا يصنع بولس الذي يريد أن يقود الإنسان إلى تقديم الخير لمضايقيه، إذ لا يقدم صنارة الحكمة الروحية عارية، إنما يغطيها بمثل هذا الطعم أي «جمر النار» فيدعوا الإنسان المهان الراغب في الانتقام إلى تقديم الخير لمضايقه. وإذ يأتي الإنسان بهذا الفعل يصطاده الرسول ولا يتركه يهرب. فكأن الرسول يقول لمحب الانتقام «إن كنت لا تقدم الطعام للمخطئ إليك من باب الشفقة، فقدمه من أجل رغبتك في الانتقام». والرسول يعلم إنه متى بدأ الشخص في هذا العمل فسيكون هذا بداية إنطلاق للمصالحة بينهما (ويختبر الشخص حلاوة **فضيلة** محبة الأعداء). إنه بهذا يعين الإنسان الذي غضب، لكن لاحظ كيف يربط بين الإثنين.

أولاً: عن طريق صنع الخير (لأنه مهما كان الإنسان دنيئًا وبلا إحساس، فإنه بعدما يتقبل الطعام والشراب يصبح خادمًا وصديقًا لمن قدمهما إليه).

ثانيًا: عن طريق الخوف من الانتقام. لأن العبارة: «لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه» تبدو كأنها موجهه لمقدم الطعام، لكنها هي بالأكثر تخص مسبب المضايقة. فبخوفه من العقاب فيكف عن العداوة، لأنه يعلم إن أخذه الطعام والشراب يزيد جرمه إن بقي في العداوة. لهذا يصرف غضبه للحال مطفئًا جمر النار. فالعقوبة المقترحة والانتقام المعلن يقنعان الطرفين: الذي أهين لكي يقدم الخير لمضايقه، ومسبب الغضب نصده ونجبره أن يصطلح مع من قدم له الطعام والشراب. وهكذا يربط بولس الاثنين برباط مزدوج. الأول يعتمد على تقديم المنفعة لمضايقه، والثاني الخوف من العقاب. لأن الصعوبة تكمن في أن يبدأ أحدهما ويفتح باب المصالحة، وعندئذ يكون الباقي سهلاً وبسيطًا.

الجزء الثالث والأخير في العدد القادم

يوحنا المجنون... جبران خليل جبران

هل هذه القصة حقيقيّة؟!

في أيام الصيف كان يوحنا يسير كل صباح إلى الحقل سائقًا ثيرانه وعجوله، حاملاً محراثه على كتفيه، مصغيًا لتغاريد الشحارير وحفيف أوراق الأغصان، وعند الظهيرة كان يقترب من الساقية المتراكضة بين منخفضات تلك المروج الخضراء ويأكل زاده تاركًا على الأعشاب ما بقي من الخبز للعصافير. وفي المساء عندما ينتزع المغرب دقائق النور من الفضاء، كان يعود إلى البيت الحقير المشرف على القرى والمزارع في شمال لبنان، ويجلس بسكينة مع والديه الشيخين مصغيًا لأحاديثهما المملوءة بأخبار الأيام شاعرًا بدنو النعاس والراحة معًا. وفي أيام الشتاء كان يتكئ مستدفئا بقرب النار، سامعًا تأوه الأرياح وندب العناصر، مفكرًا بكيفية تتابع الفصول، ناظرًا من الكوة الصغيرة نحو الأودية المكتسية بالثلوج، والأشجار العارية من الأوراق كأنها جماعة من الفقراء تُركوا خارجًا بين أظفار البرد القارس والرياح الشديدة. وفي الليالي الطويلة كان يبقى ساهرًا حتى ينام والده ثم يفتح الخزانة الخشبية ويأتي بكتاب العهد الجديد، ويقرأ منه سرًا على نور مسرجة ضعيفة، متلفتاً بتحذر بين الآونة والأخرى نحو والده النائم الذي منعه عن تلاوة ذلك الكتاب لأن الكهنة ينهون بسطاء القلب عن استطلاع خفايا تعاليم يسوع ويحرمونهم من «نعم الكنيسة» إذا فعلوا. هكذا تصرف يوحنا شبيبته بين الحقل المملوء بالمحاسن والعجائب وكتاب يسوع المفعم بالنور والروح. كان سكوتاً كثير التأملات يصغي لأحاديث والديه ولا يجيب بكلمة، ويلتقي بأترابه الفتيان ويجالسهم صامتا ناظرًا إلى البعيد حيث يلتقي الشفق بازرقاق السماء.

وإذا ما ذهب إلى الكنيسة عاد مكتئبًا، لأن التعاليم التي يسمعها منْ على المنابر والمذابح هي غير التي يقرأها في الإنجيل، وحياة المؤمنين مع رؤسائهم هي غير الحياة الجميلة التي تكلم عنها يسوع الناصري.

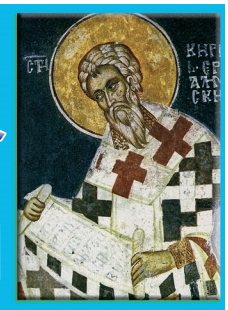

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الرابعة في العمّاد في العقائد العشر

«احذروا أن يسلبكم أحد بالفلسفة والغرور الباطل حسب سنّة الناس على مقتضى أركان العالم، لا على مقتضى المسيح. فإنّه فيه يحلّ كلّ ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم ممتلئون فيه، وهو رأس كل رئاسة وسلطان» (كولسي ٢:٨-١٠)

في الجسد

٢٢) ـ جمال الجسم البشري

لقد تعلّمت، أيها الحبيب، ما فيه الكفاية عما يخصّ النفس. فتلقَّ الآن، بقدر المستطاع، التعليمَ الخاص بالجسد. لا تقبل تعليم الذين يقولون إنّ الجسد غريب عن اللّه؛ لأن الذين يعتقدون ان الجسد شيء غريب عن اللّه، وان النفس تسكن الجسد كما في وعاء غريب إنما يدنّسونه بالدّعارة. ما هو الذي يعيبونه على هذا الجسم الغريب؟ ماذا ينقصه لكي يكون لائقاً؟ ما هو الذي في تكوينه لم يُصنع بفنٍّ؟ ألا يجدر بهم أن يعتبروا مكان العينين المدهش؟ وكيف أن الأذنين موضوعتان على شكل مائل. لالتقاط الصوت بدون عائق. وكيف أن الشمَّ يميّز بين الروائح ويحتفظ برائحة البخور؟ وكيف ان اللسان يقوم بوظيفتين: التذوّق والكلام؟ وكيف ان الرئة الكائنة في الباطن لا تكفّ عن استنشاق الهواء؟ مَن ذا الذي يجعل القلب ينبض بلا انقطاع؟ تُرى مَن الذي يوزّع الدم بين هذا العدد من الأوردة والشرايين؟ مَن الذي يشدّ العظام بالأعصاب؟ مَن الذي يخصّص جزءاً من الطعام لتغذيتنا، والباقي لكي يُطرد من الجسم؛ مَن الذي اخفى أعضاء الانسان الخسيسة في أماكن ملائمة! (١كو١٢:٢٢-٢٥). مَن الذي ربط الطبيعة البشرية، التي ستزول يوماً، برباط وحدة مستمرّ؟

٢٣) ـ النفس هي التي تخطأ

لا تقل ان هذا الجسد هو سبب للخطيئة. فلو كان الجسد سبب الخطيئة، فلماذا لا يخطأ الميت؟ ضع سيفاً في يد انسان مات حالاً، فانه لا يرتكب جريمة قتل. ليَمُرَّ جمالٌ فتّان من أي نوع كان بجوار شاب ميّت حالاً، فإنه لا تثور فيه شهوة دَنسَة. لماذا؟ لأن الجسد لا يخطأ بذاته، بل هي النفس التي تخطأ من خلال الجسد. الجسد هو أداة. انه بالنسبة الى النفس بمثابة معطف أو ثوب لها. فاذا ارتكب الزنى بواسطتها، فهو يتدنّس. وإن كان بالعكس متحداً بنفس مقدّسة، فهو يصبح هيكلاً للروح القدس. ليس هذا الكلام من عندي بل من الرسول بولس الذي يقول: «أما تعلمون أن أجسادكم هي هيكل الروح القدس؟» (١كور٦:١٩). فأشفق على جسدك واحفظه كهيكل للروح القدس. لا تلوّثه بالزنى ولا توسّخ ثوبك الجميل. وان لوّثت نفسك فاغتسل بينما الوقت لم يفت بعد.

٢٤) ـ الدعوى الى نظام الرهبان والعذارى

أما فيما يختص بالعفاف، فاعتبروا نظام الرهبان والعذارى الذين يقضون في هذا العالم حياة ملائكية (وكذلك بقيّة الشعب المسيحيّ الملتزم)، لقد أُعدَّ لكم، يا إخوتي، إكليل عظيم، فلا تقايضوا كرامة عظيمة بلذّة زهيدة. إسمعوا ما يقوله الرسول: «فلا يكن فيكم زان أو مدنّس مثل عيسو الذي باع بكريّته بأكلة واحدة» (عبر١٢:١٦). لقد سُجِّلتَ في الكتب الملائكية بسبب رغبتك في العفاف، فاحذر من أن يُمحى اسمك من هذه الكتب بارتكابك الزنى.

٢٥) ـ كرامة الزوّاج

ان كنت تؤدي واجب العفاف على وجه كامل، فيجب لذلك ألاّ تحتقر الذين هم أقلّ درجة منك بسبب إرتباطهم برباط الزوّاج. «ليكن الزواج مكرّماً في كل شيء والمضجع طاهراً»، يقول الرسول (عبر١٣:٤). أنت المحافظ على عفافك التام، ألم تولد من أهل متزوّجين؟ أفلأنّك تملك ذهباً، هل يجب لذلك أن تحتقر الفضّة؟ ليمتلىء أملاً أولئك المتزوجين شرعيّاً، الذين يستخدمون الزواج حسب الشريعة وليس لإشباع رغبات متطرّفة، ويعرفون الامتناع الى حين ليتفرّغوا للصلاة (١كو٧:٥)، ويحضرون الاجتماعات في الكنيسة بملابس نقية وأجساد طاهرة، ويقصدون من وراء الزواج إنجاب الأطفال لا متعة اللّذة.

٢٦) ـ شرعيّة الزواج

لا يحتقر المتزوجون مرّة واحدة أولئك الذين يعقدون زواجاً ثانياً. إن ضبط النفس لأمر نبيل يدعو الى الإعجاب؛ ولكن الزواج الثاني مسموح به للضعيف كي لا يسقط في الزنى. يقول الرسول: «إنه حسنٌ لهم أن يبقوا على هذه الحال كما أنا»، «فإن لم يتعفّفوا، فليتزوّجوا؛ فالزّواج خيرٌ من التحرّق بالشهوة» (١كو٧:٧-٨). ابتعدوا عن الدعارة والزنى وكل فاسد من هذا النوع. احفظوا جسدكم طاهراً لكي يحترم اللّه جسدكم. غذّوا جسدكم بالطعام ليعيش، ولكن لا للأنصراف الى الملذّات.

من قصيدة أوراق العمر للشاعرة د. ميّ سعادة

رَفْرَفَ الحُبُّ فَوْقَنا والوَفاءُ ... فيه تَحلو المُنى ويَحلو الرَّجاءُ

حُبُّنا ثابتٌ قديمٌ عَجيبٌ ... كَتَمتْه الصّدورُ والأحشاءُ

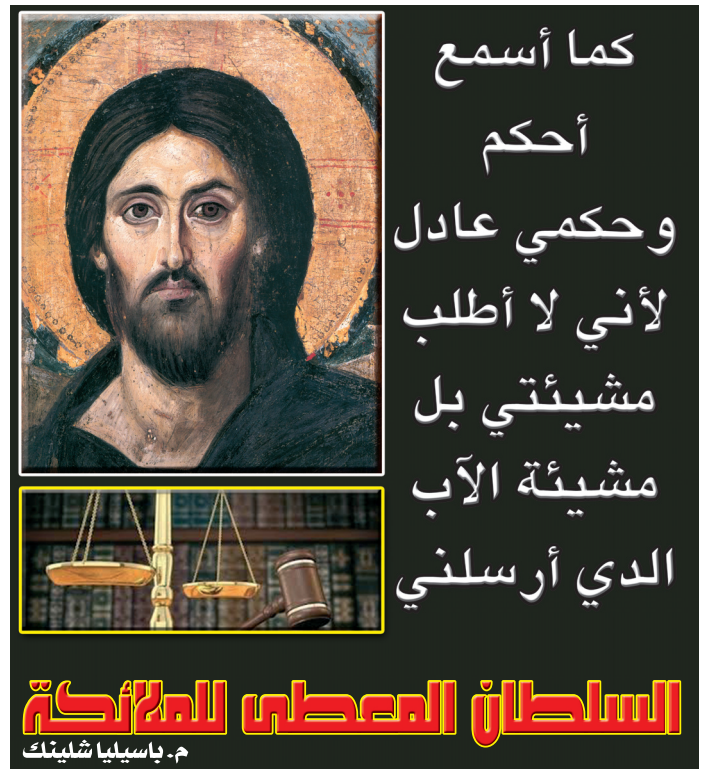

والملائكة ليس لها فقط إعطاء الإشارة لبدء الدينونة. بل إن لها أيضاً المقدرة على أن تختم عبيد اللّه (رؤيا٧:٣)، حتى إن تلك القوى الشيطانية (**التي يشار إليها بصورة الجراد، ولها حمة العقارب**) لا تمسّ المختومين بأذى، وهكذا فإن سلطان «**الجراد**» الصاعد من الهاوية المفتوحة ، هو سلطان جزئي (رؤيا٩:٤) وبدون أن تعلم زبانية الجحيم هذه ، فإنها تنفّذ قضاء اللّه، على أولئك الذين لا يحملون خاتم اللّه على جباههم، بل ينتسبون إلى الشيطان، إنهم مرسلون لتعذيبهم.

وللملائكة قد أعطى اللّه السلطان للدينونة. الفعلية، وللضربات التي تقع على العالم.. وإننا لنرى أربعة ملائكة غير النافخين في الأبواق، وقد عيّنهم اللّه لتلك الساعة، واليوم والشهر والسنة ليقتلوا ثلث البشرية (رؤيا٩:١٤).

بالإضافة إلى هؤلاء يُعلن لنا سفر الرؤيا عن ملائكة ينتمون لأحداث النهاية: محذّرين ، ورسلاً للدينونة ، إنّ الوجود كلّه هو تحت سلطان الملائكة الذين يبذلون كل ما في وسعهم، لتثبيت ملك يسوع ، وسفر الرؤيا يرينا الملاك الطائر الذي يطير محذّراً في وسط السماء (رؤيا١٤:٦). أما مقدرة ذلك الملاك ، فهي كبيرة جداً، وارساليته لا يدركها عقل البشر ، والأنجيل الذي يدعو له بصوت عال ليس لفرد أو مدينة أو أمّة لكنها لكل البشر الأحياء عند نهاية الأزمنة قائلاً:«خافوا اللّه وأعطوه مجداً، لأنه قد جاءت ساعة دينونته، واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه» (رؤيا١٤:٧).

وفي الأزمنة الماضية، ربما ما كنا ندري ، لماذا دعيت هذه الرسالة انجيلاً ، أو بشارة ، أما في أيامنا الحاضرة فإنّنا لا نعجب لذلك. فالإنسان ، في روح **ضدّ المسيح** ، يثور على كل شيء يرتبط باللّه ، وبعبادة اللّه ، رافضاً أن يحتمل أي سلطان يسمو عليه، هذه هي صفته الرئيسية، لذلك ضاعت الصلة الأولى بين المخلوق وخالقه ، صلة الرهبة ، والإحترام والخشوع ، ولذلك فإن الرسالة التي يتقدم بها الملاك على هذا النحو ، لازمه كل اللزوم، لخلاص جيل مُعْوَج ملتو، هو جيل التمرّد في زماننا الحاضر، فحينما يتضع الإنسان أمام اللّه متعبّداً له معطياً إيّاه الإكرام والأجلال ، يستطيع في نور اللّه أن يكتشف خطيّة نفسه ، وعلى هذا النحويستطيع فقط أن يدرك حاجته القصوى إلى المخلّص يسوع ...

وهكذا نستطيع أن نرى كيف أن بعض الملائكة، قد عُيِّنوا محذّرين للجنس البشري بكامله ، معلنين رسالة اللّه بأكثر الحاح ، وقوّة أكثر من أي وقت مضى.

وهناك ملاك آخر نستمع إلى صوته محذّراً بصوت عال ومرتفع: «إن كان أحد يسجد للوحش ، ولصورته ، ويَقْبَل سمَتَه على جبهته، أو على يده، فانه أيضاً سيشرب من خمر غضب اللّه المصبوب صرفاً في كأس غضبه، ويعذّب بنار وكبريت ، أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف» (رؤيا ١٤:٩-١٠).

ثم يُعلن آخر منطوق الدينونة، «سقطت سقطت بابل العظيمة، لأنها سَقَت جميع الأمم من خمر غضب زناها» (رؤيا١٤:٨)، وهناك ملائكة غير هذين كُلّفت بمهام متكاملة ، تتصل أيضاً بالدينونة ، ينادون أحدهم الآخر قائلين للجالس على السحابة: «ارسل منجلك ، واحصد ، لأنه قد جاءت الساعة للحصاد ، إذ يبس حصيد الأرض» (رؤيا١٤:١٥).

ولم يكلف الملائكة فقط لاعلان الدينونة وتنفيذها ، بل كُلِّفوا أيضاً بجمع المحكوم عليهم ، وتسليمهم إلى ملكوت الظلمة والهلاك الأبدي ، وكذلك قيادة المختارين إلى السماء.. إن الفصل ما بين الصالحين والأردياء ، هو جانب من خدمتهم بين الأحياء في نهاية الأزمنة.

«هكذا يكون في إنقضاء العالم يرسل ابن الإنسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الأثم ، ويطرحونهم في أتون النّار، هناك يكون البكاء ، وصرير الأسنان» (متى١٣:٤١).

بالنسبة للمختارين يقول يسوع بأنه: «يُرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ، فيجمعون مختاروبه من أقصاء السموات إلى أقصاها» (متى٢٤:٣١).

يتبع في العدد القادم

وإن غدا لناظره قريب

الأيامُ خَمسةٌ يومٌ مَفقودٌ . ويومٌ مَشهودٌ .
ويومٌ مَورودٌ . ويومٌ موعودٌ. ويومٌ مَمدودٌ .

فالمفقودُ أَمْسُكَ الذي فاتَكَ مَع ما فَرَّطْتَ فيه.
والمشهودُ يومُكَ الذي أنتَ فيه فَتَزَوَّدْ فيه منَ الطاعات.
والمورودُ هو غَدُكَ لا نَدْري هَل هُوَ منْ أَيَّامكَ أم لا.
والموعُودُ هُوَ آخرُ أَيَّامكَ من أيام الدُّنْيا فاجْعَلْهُ نُصبَ عَيْنكَ.
والمَمدودُ هُوَ آخرَتُكَ وهُوَ يَوْمٌ لاَ انْقضاءَ لَهُ. فاهتمَّ لَهُ غايَةَ اهْتمامكَ فإنَّهُ إمَّا **نَعيمٌ دَائمٌ** أَوْ **عَذَابٌ مُخَلَّدٌ**.

أشهر من خطب في لسان العرب

خطبة للصوم الكبير المبارك

للقسّ روبيل الدنيسري من رهبان النصرانيّة في الجزيرة العربيّة

ألحمدُ للّه المُجير(١) الَّذي لا يُجارُ عَلَيْه. الْقَدير الَّذي لا مَلْجأَ منْهُ إلاّ إلَيْه. مُبْدىء الخَلْق وَمُعيده(٢). وَمُنْشىء الرِّزْق وَمُفيده. مُسَيِّر مُشْرقَات النُّجوم وَمُعيرهَا(٣). وَمُدَبِّر حَرَكَات الأَفْلاَك وَمُديرهَا. الْمُدْرك الْمُقيت. . الْمُهْلك الْمُميت.. الَّذي صَوَّرَ أَصْنَافَ الْخَليقَة فَأَبْدَعَ تَصْويرهَا. وَقَرَّرَ اخْتلاف أَجْنَاسهَا فَأَحْسَنَ في تَقْديرهَا. وَنَشَرَ رَحْمَتَهُ عَلَى ضَعيفهَا وَقَوِّيهَا. وَصَغيرهَا وَكَبيرها. الَّذي لاَ يُرَادُّ في حُكْمه وَلاَ يُرَاجَعُ . سَامك(٤) السَّمَاء. بغَيْر عَمَد (٥) في الْهَواء. وَسَاطح الأَرْض طَافيَةً عَلَى تَيَّار الْمَاء. أَحْمَدُهُ وَالحَمدُ منْ نعَمه. وَأُعَوِّلُ في الْقُبول عَلَى كَرَمه. حَمْداً لاَ يَكُونُ لمُتَّصله انْفصَالٌ. عَلَى مَا لاَ يُدْرَكُ شُكْرُهُ وَلاَ يُنَالُ. لاَ شَريكَ لَهُ وَلاَ ضدَّ. وَلاَ عَديلَ(٦) وَلاَ ندَّ. أَلْحَيُّ الَّذي لاَ يَمُوتُ وَلاَ يَبْلَى. أَلْقَيُّومُ(٧) الَّذي لاَ يُسَمَّى بمَا سَمَّى نَفْسَهُ وَلاَ يُكَنَّى. أَيُّهَا النَّاسُ أَسيمُوا(٨) الْقُلُوبَ في هذَا الصَّوْم الْمُبَارَك في رياض الْحكَم . وَأَديمُوا النَّحيب عَلَى ابْيضَاض(٩) اللِّمَم(١٠). إلْزَمُوا التَّقْوَى يَلْزَمْكُمْ وَقَارُهَا. وَاحْتَمُوا الدُّنْيا يَحْتَمكُمْ صغَارُهَا. أُوصكُمْ عبَادَ اللّه وَإيَّايَ بتَقْوَى اللّه فإنَّهَا عُرْوَةٌ (١١) مَا لَهَا انْفصَامٌ(١٢). وَذُرْوَةٌ مَا لَهَا انْهدَامٌ. وَقُدْوَةٌ يَؤُمُّ إلَيْهَا الْكرَامُ. وَجَذْوَةٌ(١٣) تُضيءُ بهَا الأَفْهَامُ. مَنْ تَعَلَّقَ بحَبْلهَا حَمَتْهُ مَحْذُورَ الْعَاقبَة. وَمَنْ تَحَقَّقَ بحَمْلهَا وَقَتْهُ شُرورَ كُلِّ نَائبَة. قَيِّدُوا أَلْسنَتَكُمْ منَ الْخَوْض في الْباطل. واقْطَعُوا عَنِ النُّطق بغيبَة كُلِّ غَافل. أَلاَ وَإنَّ عَثْرَةَ الرِّجْل سَريعٌ انْدمَالُهَا. وَعَثْرَةَ اللّسان قَطيعٌ(١٤) وَبَالُهَا(١٥). وَمَنْ أَبْصرَ عُيُوبَ نَفْسه عَمي عَمَّنْ سوَاهُ. وَمَنْ هَتَكَ عرْضَ أَخيه كَانَ خَصْمَهُ اللّهُ. قَدْ عَمَّتْكُمْ رَحمَكُمْ اللّهُ منَ الصَّوْم النِّعمَةُ السَّابغَةُ. وَلَزمَتْكُمْ منَ اللّه الحجَّةُ البَالغَةُ. أَلاَ وَإنَّهُ صَوْمٌ جَعَلَهُ اللّهُ مصْبَاحَ الْعَام. وَوَاسطَةَ النِّظَام. وَأَشْرَقَ قَوَاعدَ الْنَّصرانيَّة بنور الصِّيَام. فَتَأَهَّبُوا رَحمَكُمُ اللّهُ لهذه الأَيَّام الشَّريفَة الْمُبَارَكَة وَلاغتنام وِرْدهَا(١٦). فَكَمْ طَليق فيهَا منْ وثَاق الذُّنُوب. وَحَقيق بنَيْل كُلِّ مَطْلُوب. يُنْزلُ اللّهُ لَكُمُ فيهَا الأَرْزَاقَ. وَيَجْعَلُ ببَرَكَتهَا فكَاكَ الأَعْنَاقَ. فَاهْرُبُوا إلَى اللّه يَا عبَادَ اللّه فيهَا منْ سُوء الاجْتراح(١٧). وَاطْلُبُوا منْهُ حَوَائجَكُمْ تَظْفَرُوا بالنَّجَاح. فَلاَ دُعَاءَ فيه إلاَّ مَسْمُوعٌ. وَلاَ عَمَلَ فيه إلاَّ مَرْفُوعٌ. وَلاَ خَيْرَ إلاَّ مَجْمُوعٌ. وَلاَ ضُرَّ إلاَّ مَدْفُوعٌ. يَا أَيُّهَا العَاقلُ هذَا أَوَانُ ازْديَادكَ وَاسْتمَاعكَ. وَيَا أَيُّهَا الْغَافلُ هذَا وَقْتُ تَيَقُّظكَ وَاقْتلاعكَ . مَا سَأَلَ اللّهُ فيهَا سَائلٌ إلاَّ أَعْطَاهُ. وَلاَ

اسْتَجَارَ به مُسْتَجِيرٌ إلاَّ أَعزَّهُ وكَفَاهُ. فَرحِمَ اللّهُ امْرءاً تَيَقَّظَ قَلْبُهُ مِنْ سِنَةِ هَوَاهُ. وَاخْتَارَ لِنَفْسِه مَا يَحْمَدُهُ مِنْ سِوَاهُ. قَبْلَ أَنْ تَتَرَمَى به الأَقْدَارُ. وَيَحِلَّ به الحِذَارُ(١٨). وَتُوحَشَ مِنْهُ الدِّيَارُ. وَلاَ يُسْمَعَ مِنْهُ الاعتذَارُ. وَلاَ يُفْصِحَ بِخِطَابٍ. وَلاَ يُسمَعَ بِجَوَابٍ. . مُخْتَطَفاً مِنَ الأَحْبَابِ مُرْتَهَناً(١٩) بِالاكْتِسَابِ(٢٠). وَحِيداً فِي مَنْزِلِ الاغْتِرَابِ. مُوَجَّهاً يَوْمَ الحِسَابِ . أَذِيَّ الأَهْلِ وَأَقْرَبِ الأَصْحَابِ. تَجَهَّزُوا فَقَدْ ضُرِبَ فِيكُمْ بُوقُ الرَّحِيلِ. وَبَرِّزُوا(٢١) فَقَدْ قَرُبَتْ لَكُمْ نُوقُ(٢٢) التَّحْوِيلِ. وَدَعُوا التَّمَسُّكَ بِخَدْعِ الأَبَاطِيلِ. والرُّكُونَ إِلَى التَّسْوِيفِ(٢٣) والتَّعْلِيلِ. أَظَلَّنَا اللّهُ وَإِيَّاكُمْ فِي ذلكَ اليَوْمِ بِظِلِّ عَرْشِه. وَوَقَانَا وَإِيَّاكُمْ حُلُولَ أَلِيمِ بَطْشِه. وَعَدَلَ بِنَا وَبِكُمْ إِلَى سَبِيلِ السَّلاَمَةِ. وَحَمَلَ عَنَّا وَعَنْكُمْ أَعْبَاءَ الظَّلاَمَةِ. وَجَعَلَ الإِخْلاَصَ بِتَوْحِيدِه نوراً لَنا وَلَكُم فِي ظُلَماتِ القِيَامَةِ. وَنَزَعَ مِنَّا وَمِنْكُمْ غِلَّ القُلُوبِ. وَرَفَعَ عَنَّا وَعَنكُمْ ذُلَّ الذُّنُوبِ. وَجَمَعَ لَنَا وَلَكُمْ فِي الدَّارَيْنِ(٢٤) كُلَّ مَحْبُوبٍ. وَأَيَّدَنَا وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِالاسْتِبْصَارِ (٢٥)بِتَصَارِيفِ أَقْدَارِه. وَأَسْعَدَنَا وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ الانْبِعَاثِ بِجِوَارِه.

اللَّهُمَّ وَجُدْ عَلَى **بَنِي المَعمُودِيَّة** بِعِصْمَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ اقْتِرَافِ السَّيِّئَاتِ وَنِعمَةٍ جَامِعَةٍ لِصُنُوفِ الخَيْرَاتِ. وَرَحْمَةٍ مَاضِيَةٍ لِسَوَالِفِ الخَطِيئَاتِ . اللَّهُمَّ وَإِذَا انْقَضَتْ مِنَ الدُّنْيَا أَيَّامُنَا.وَأَزِفَ (٢٦)عِنْدَ المَوْتِ حِمَامُنَا. وَأَحَاطَتْ بِنَا الأَقْدَارُ. وَشَخَصَتْ إِلَى قُدُومِ المَلاَئِكَةِ الأَبْصَارُ. وَعَلا الأَنِينُ. وَعَرِقَ الجَبِينُ فَمُرِ اللَّهُمَّ مَلَكَ المَوتِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِنَا شَفِيقاً. وَبِنَزْعِ نُفُوسِنَا رَؤُوفاً رَفِيقاً. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا أَسْرَرْنَاهُ وَمَا أَعْلَنَّاهُ. وَمَا قَدَّمْنَا وَأَخَّرْنَاهُ. وَمَا أَحْصَيْتَهُ وَنَسِينَاهُ. وَعَلِمْتَهُ وَجَهِلْنَاهُ. وَلاَ تَدَعْ لَنَا أَمَلاً إِلاَّ وَ بَلَّغْتَنَاهُ. وَلاَ سُؤالاً إِلاَّ وَأَنَلْتَنَاهُ. وَلاَ شَرّاً إِلاَّ وَكَفَيْتَنَاهُ. يَا خَيْرَ مَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ عَبْدُهُ **وَرَجَّاهُ**. بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمِينَ.

معاني الكلمات: ١) مُجير: مغيث ، منقذ. ٢)معيده: معطيه الحياة بعد الموت. ٣)معيرها: ضابط مسارها. ٤) سَامك: رافع. ٥)عَمَد: دعامة. ٦)عَديلَ: مَثيلَ. ٧) القيّوم: الحيّ والقائم بقوة سلطانه. ٨)أسيموا: أحكموا (كونوا حكماء في إختيار مسار ومنهج القلب القويم والصحيح). ٩) إبيضاض: مشيب. ١٠) اللمم: الرؤوس. ١١)عروة: إتصال. ١٢) إنفصام: إنفصال. ١٣) جذوة: جمرة. ١٤) قطيعٌ: طائفة من الليل تكون من أوله حتى ثلثه . ١٥)وبالها: مصائبها "أي مصائبها سوداء كالليل". ١٦) ورْدها: منبع ماءها. ١٧) الأجتراح: ارتكاب الأثم. ١٨) الحذار: الخوف والبيّنة. ١٩+٢٠) مرتهناً الإكتساب: تعوزه المساعدة. ٢١) بَرِّزوا: "برَّز" سباق الخيل في الميدان (جاهدوا). ٢٢)نوقُ: مَسلكه ، سلَكَهُ. ٢٣) التسويف: المماطلة. ٢٤) الدّارين: الدنيا والآخرة. ٢٥) استبصار:الكَشف. ٢٦) أزفَّ: أقترب.

«وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكُم جميعها محصاة» (لوقا ١٠:٣٠)

إنّ الطبيب له علمٌ يدلُّ به
ما كانَ للمرءِ في الأيامِ تأخيرُ
حتى إذا ما انتهت أيامُ رحلته
حارَ الطبيبُ وخانته العقاقرُ

القناعة كنزٌ لا يفنى

إنّ الغَنيَّ هو الغنيُّ بنفسه
ولو أنّه عاري المناكبِ حافِ
ما كُلُّ ما فوقَ البسيطة كافياً
فإذا قنَعتَ فكُلُّ شيءٍ كافِ

«إن كان ممكناً فحسب طاقتكُم سَالموا جميع الناس» (رومية ١٢:١٨)

إحرص على حفظ القلوب من الأذى
فرجوعها بعد التنافر يَعسرُ
إنّ القلوبَ إذا تنافَرَ ودّها
مثل الزجاجة كسرها لا يُجبَرُ

شعراء النصرانيّة في شبه الجزيرة العربيّة

حاتم الطائي ٦٠٥م:

هو ابنُ عبد اللّه بن سَعد الطائيُّ. وكان نَصرانياً ، منَ الكَرَم على أفضَل جانب، فَيَفُكُّ العانيَ ويَحمي الذّمَار ويقْري الضَّيفَ ويُشبِعُ الجائعُ ويُفْرِجُ عن المكروب ويُطعمُ الطّعامَ ويُفشي السّلامَ. ولمْ يَرُدَّ طَالبَ حَاجَة قطُّ. وكانَ حَاتمٌ من شُعراء العرب جَواداً يُشبهُ شعْرُهُ جودَهُ. ويُصَدِّقُ قَولَهُ فعلُهُ. وكانَ حَيْثُمَا نَزَلَ عُرِفَ مَنْزِلُهُ وكانَ مُظَفّراً إذا قاتَلَ غَلَبَ. وإذا غَنِمَ أنْهَبَ. وإذا سُئِلَ وَهَبَ. وكانَ إذا جَنَّ اللّيْلُ يُوعزُ إلى غُلامه أن يوقدَ النَّارَ في يَفَاعٍ منَ الأرْض ليَنْظُرَ إلَيْها مَنْ أضَلَّهُ الطَّريقُ فَيَأوي إلى مَنْزله ويقول:

أَوْقِدْ فَإنَّ اللَّيْـلَ لَيْلٌ قَـرٌ ... والرِّيحَ يَا مُوقِدُ رِيحٌ صـرٌّ

عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُـرُّ ... إنْ جَلَبتَ ضَيْفاً فَأنتَ حُـرٌّ

وكانَ إذا أهَلَّ الشَّهرُ يَنحرُ عَشراً منَ الإبلِ فَيُطعمُ النّاسَ.

حاتم وقيصر الروم:

حادثة مشهورة قيل ان أحد قياصرة الروم بلغته أخبار جود حاتم فأستغربها فبلغه أن لحاتم فرساً من كرام الخيل عزيزة عنده فأرسل اليه بعض حجّابه يطلبون الفرس فلما دخل الحاجب دار حاتم أستقبله أحسن أستقبال ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب القيصر وكانت المواشي في المرعى فلم يجد إليها سبيلا لقرَى ضيفه فنحر الفرس وأضرم النار ثم دخل إلى ضيفه يحادثه فأعلمه أنه رسول القيصر قد حضر يستميحه الفرس فساء ذلك حاتم وقال :هل أعلمتني قبل الآن فأني قد نحرتها لك إذا لم أجد جزورا غيرها فعجب الرسول من سخائه وقال: واللّه لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا.

ومن شعر حاتم الطائي في الجود والكرم ، وذمّ المال يقول:

ألا سَبـيلٌ إلى مـالٍ يُعَـارِضُـني

كما يُعارِضُ ماءَ الأبطَحُ الجاري

ألا أُعانُ ، عَلَى جودي ، بِمَيْسَرَةٍ

فـلا يَـرُدَّ نَدَي كَـفَـيَّ إقتـاري

الذّمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه، وإن ضيّعته لَزمك اللوم.

الأبطَحُ : مكان متّسع يسيل فيه الماء ، فيخلّف فيه التراب والحصى الصغار.

مَيسَرَة : الغنى والثّراء.

البَرَّاقُ بن رَوْحَان ٥٢٥م:

هو أَبُو النَّصْر بنْ رَوْحَانَ بْن أَسَد التَّميميُّ منْ شُعَراء الطَّبَقَة الثَّانيَة وَهُوَ جَاهليٌّ قديمٌ . وكانَ في صغَره يَتْبَعُ رُعَاةَ الإبل وَيَحْلبُ اللَّبَنَ وَيَأْتي به إلَى راهب حَوْلَ المَراعي فَيَتَعَلَّمُ منْـــهُ تلاوَةَ الإنْجيل وَكَانَ يَدينُ بدينه. ثمّ اشتَهَرَ أمره وَسَارَ بَعدَ ذلكَ. وَظَهَرَ منْهُ منَ القيَام والفُرُوسيَّة في الحَرب الَّتي وَقَعَت بينَ بَني رَبيعَةَ وَبَني إيادٍ ولخمٍ مَا لَم يَكُن لغَيْره. وَمن شعْره.

يَا طَـالبَ الأَمـرِ لاَ يُعْطَـى أَمَانيـه

إسْتَعْمِل الصَّبْرَ في مَـا كُنْتَ تَبْغيه

والْبَـسْ لسِـرِّكَ مَا تُخْفيـه مُجْتَهداً

وَلْبـسْ عَفَـافَـكَ في مَا كُنْتَ تَعْنيه

فَصَاحبُ الصِّدْقِ يَجْني صدْقُهُ حَسَناً

وَصَاحبُ الشَّـرِّ سُوءُ الشَّـرِّ يَجْنيه

ولَمَّـا وَقَعَتْ بَيْنَ بَني رَبيعَةَ وَبَني طَيٍّ وَقُضَاعَةَ الحُروبُ المشْهُورَةُ وَتَعَاظَمَت الفتْنَةُ بَيْنَهُمْ واتَّسَعَتْ أَعْيَا التَدْبيرُ في الصُّلح حَتَّى لحقَ شَرُّهُمْ مَنْ كانَ مُعتزلاً عَنْهُمْ. فاجْتَمَعَ إلَى البَرَّاق كُلَيْبُ بْنُ رَبيعَةَ وَإخْوَتُهُ وَسائرُ قَبَائل رَبيعَةَ يَسْتَنْجدُونَهُ وَقَالوا: قَدْ جَلَّ الخَطْبُ فَلا قَرَارَ لنَا عَلَيْه. وَكانَ البَرَّاقُ مُعتزلاً عَنْهُمْ بقَوْمه. فَأَخَذَتْهُ الغَيْرَةُ وَأنْشَأَ يَقُولُ:

لَعَمْري لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمي ... وَأَرْحَلُ عَنْ فِنَائي وَأَسيرُ

أَأَنْزِلُ بَيْنَهُمْ إنْ كَانَ يُسْرٌ ... وَأَرْحَلُ إنْ أَلَمَّ بِهِمْ عَسيرُ

ثُمَّ نَادَى في قَوْمه وَقَالَ: قَدْ عَلمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَـائل طَيٍّ وَشدَّةَ بَأْسهمْ وَنَجْدَتهمْ فَشُدُّوا بنَا الخَيْلُ وَبَدَؤُوهُمْ بالغَارَة. فَوَضَعوا فيهم السُّيُوف وَعَلَت الأَصْوَاتُ وَتَبَادَرتْ إلَيْهم النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهمْ كُلُّ قَبيلَة بمَا يَليهَا. فاعْتَركُوا سَاعةً وَوَلَّتْ طيءٌ وَقُضَاعَةُ بَعْدَ قَتْلَة مُريعَـــة. واتَّبَعَهُمُ البَرَّاقُ. وامتَلأَتْ أَيديهمْ منَ الغَنَائم وانْقَادَتْ إلَيْهم العُرْبَانُ. وَعَظُمَتْ مَنْزلَةُ البَرَّاق في أَعْيُن النَّاس واسْتَهَالُوا أَمْرَهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْه جَميلاً. وكَانَت وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسمائَة وَخَمْس وَعشْرين للمَسيح .

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٥١)

الفصل الخامس:
صموئيل النبي وإحياء الأمة

الفلسطينيون العدو المنازع:

في أثناء فترة القضاة سرعان ما إشتبكت جيوش الفلسطينيين مع الإسرائيليين لإمتلاك منطقة التلال الفاصلة بينهما فقد توجس كل منهما خطر الطرف الآخر ، فأحس الإسرائيليون أن أعداءهم عتاة وطغاة يقفون عقبة في طريقهم لإمتلاك الأرض. وعلى الجانب الآخر خشي الفلسطينيون بأس العبرانيين وقد إمتدّوا في الأرض طولاً وعرضاً وأزاحوا الكنعانيين من مدنهم ، فلتثبيت تفوقهم صاروا ينازعون الإسرائيليين لئلا ينتزعوا منهم طريق التجارة الحيوي. وأدى هذا التنافس إلى الحرب الطويلة بينهما في أيام القضاة وامتدت إلى صموئيل وشاول. وكان للفلسطينيين تركيبهم السياسي وتنظيمهم الحرب فكان لهم ولاة وحكام للمدن الخمس التي يستوطنونها ، وقد تفوّقوا في العتاد والسلاح إذ تعلّموا سرّ الحديد في بداية إكتشافه وتراجع النحاس أمامه ، فصنعوا أسلحتهم من الحديد (قض١٦:٢) بينما ظلّ الإسرائيليّون بأسلحتهم المصنوعة من النحاس والبرونز، فلم يكن مَنْ يَصنع الحديد في إسرائيل (١صم١٣:١٩) وعلى هذا ظَلّ الفلسطينيون سادة الموقف حتى أخضعهم داود الملك ؛ ومع أن الفلسطينيين لم يتوغّلوا في الأرض إلا أنهم كانوا يهاجمون بلدان الإسرائيليين ، فكانوا سبب أرق دائم لهم ، وقد دحرهم داود ، وظلّوا في مدنهم ما يقرب من ثلاثة قرون إمتدت إلى القرن السابع ق.م. حيث إمتصتهم القوّات الأشوريّة الزاحفة.

تابوت العهد ونهاية عالي (١صم٤:١-٢٢):

كان للتفوّق الحربي للفلسطينيين وتميزهم بسلاح الحديد والمركبات السبب المباشر في هزيمة الإسرائيليين، وانتشر الفلسطينيون شمالاً على طول الشاطىء من مستوطناتهم في أرض كنعان وجمعوا قوّتهم في أفيق الموقع الإستراتيجي في الحرب حيث ملتقى الفرع الغربي الآتي من طريق البحر مع الفرع الشرقي وبذلك يحيط بالينابيع على طول طريق نهر اليركون مع سهل كثير المستنقعات وهي مساحة لا تسير فيها القوافل أو الجيوش المحاربة ، وجمع الإسرائيليون قوّاتهم عند ابن عوز (حجر المعونة) وهي تبعد ميلين (٣كم) شرقيّ أفيق ويعترضون طريقاً جبلياً يصل إلى قلب الإقليم داخل إفرايم وشيلوه المكان المقدس حيث يستقرّ هناك تابوت عهد الربّ.

وهاجم الفلسطينيون الإسرائيليين قرب حجر المعونة في معركة شرسة متلاحمة إنتهت بكارثة هزيمة الإسرائيليين نتيجة محاربة شعب منقسم أمام عدوّ منظّم تنظيماً عالياً ومتفوّقاً في أسلحته، ورأى الشيوخ أن يجمعوا شمل الجنود المشتّتين ويبثّوا فيهم روح الشجاعة والحماس، فأرسلوا في إحضار تابوت العهد من الخيمة وأُحضرَ التابوت تحت إشراف حفني وفينحاس إبنيّ عالي الكاهن الكهلَ الضرير، والتحمت القوّتان ولم تكن نتيجتها أفضل من سابقتها إذ نجح الفلسطينيون في تشتيت الإسرائيليين وقتلوا منهم الآلاف ، ولقي إبنا عالي حتفهما وسقط تابوت اللّه في أيدي الفلسطينيين ، التابوت الذي هو أثمن ما يملكه الإسرائيليون فهو مركز خيمة الشهادة وبداخله نسخة من الشريعة والذي سار مع العبرانيين في رحلاتهم ، وهو رمز حضور اللّه وسط الجماعة ، لكن حينما يستخدمه الشعب **كتميمة سحريّة** تحميهم من الفلسطينيين يقع في أيدي أعدائهم وينهزم الشعب هزيمة مروّعة ، وسرعان ما طارت الأخبار السيّئة إلى عالي الكاهن فسقط إلى الخلف وكسرت رأسه، فتنتقل رئاسة الكهنوت من بيت عالي إلى بيت صادوق (٢صم٨:١٧) وسجلت الحادثة المؤلمة إذ أسمَت كنّته وليدها **إيخابود** أي زال المجد من إسرائيل.

رحلة تابوت العهد (١صم٥-٧):

أخذ الفلسطينيون معهم الأسلاب جنوباً إلى أشدود وهم يهلّلون بإنتصاراتهم ووضعوا التابوت في معبد داجون أحد آلهتهم العظام، لكن الصباح أحال فرحتهم فزعاً إذ رأوا تمثال داجون ساقطاً بوجهه على الأرض، وَضُرِبَ الأشدوديّون بالبواسير ، فاجتمع أقطاب الفلسطينيين ونقلوا التابوت إلى جت ثم إلى عقرون ، ولكن بسبب ضربة البواسير خافوا ، فأشار عليهم الكهنة والعرّافون بسرعة التخلّص من التابوت ولابدّ أن يرسلوه إلى خارج مدنهم وأن يتمّ ذلك على وجه السرعة لأنه جلب عليهم المصائب سبعة أشهر ، وحيث يمتدّ الطريق الهام من عقرون إلى أرض الإسرائيليين مجتازاً خلال وادي سورق وعلى طول هذا الطريق سار التابوت ببطء لا قائد لها ومعه التقدمات ليخلصهم من الوباء، وبينما كانت العربة تقترب من بيت شمس على حدود أرض الفلسطينيين رأى الإسرائيليون الذين كانوا يحصدون القمح في الحقول المجاورة تابوت عهد الرب ففرحوا ، وحينما وصلت العربة حقل يهوشع البتشمسي قدّم اللاويين ذبيحة شكر عن عودة التابوت ، ولكن الذين تجاسروا من بيت شمس ودفعهم الفضول أن ينظروا إلى التابوت ماتوا بسبب تهاونهم ، فاللّه ليس للفضول وحبّ إستطلاعهم لأنه قدّوس فلا يتجاسر أحد عليه (أش٦:١) ، أخيراً عاد التابوت إلى شيلوه لكنها كانت قد خربت في أعقاب إنتصارات الفلسطينيين وتوغّلهم في المرتفعات ، فأُخذَ التابوت ونُقل إلى كيريات يعاريم.

مديح العذراء والدة الإله الدائمة البتولية مريم

تكريم والدة الإله العذراء مريم الكليّة القداسة خاصّة في زمن الصوم الأربعينيّ المبارك ، يأتي مُذكّراً إيّانا بدورها الخلاصيّ ، يأتي واضعاً نُصبَ أعيننا سيرتها الطاهرة لكي نقتدي بها ، يأتي عاضداً إيّانا بشفاعاتها لدى السيّد حتى نُكمّل الجهاد الحَسَن.

العذراء مريم هي أُمّ المسيحيين ، هي حوّاء الجديدة ، حين أضحى الخَلق القديم مُشَوّهاً عبْرَ ضعف الجدّيّن الأوليّن ، أَتَت العذراء بوابّة عَبَرَ منها المخلّص ليجدّد الخليقة كَلّها ؛ فانظر حياةً مُفعَمة بالطُهر، واعجب ممن إحتار في شأنها طغمات الملائكة.

ها مريم أمام سرّ حبلها الفائق الطبيعة ، تُجيب الملاك بطاعة وتواضع عظيمَيْن: أنا أمة الربّ لا يثنيها مجدٌ زمنيّ ، لا تُرهبُها قوّةٌ أرضيّة ها هي تقضّي حياتها بالصلاة والفضائل متأمّلة في أحكام الربّ ، حافظة كلّ الأمور في قلبها ، ها أنها تشفع بدالتها الوالديّة لدى السيّد حت يظهر مجده في عُرسنا ، فَيَكْمُل فَرَحُنا.

ها مريم واقفة عند أقدام الصليب تنظر إبنها مصلوباً، عادمَ النسمة. لكنّها تُعاين قيامته المجيدة، وتلبث مع التلاميذ تُصلّي معهم وتبتهل مَن أجلهم كلّ حين حتى إنتقالها إلى الأخدار السماويّة، لذلك إستأهلت مريم أن تسمو كرامة على الشيروبيم وتفوق مجداً على السيرافيم ، إستأهلت أن تكون بالحقيقة والدة الإله.

ونحنُ إذ قد وجدناك يا ذات كلّ تسبيح شفيعةً ورجاءً ، نهتف إليك مع الملاك قائلين: إفرحي يا عروساً لا عروس لها.